المفارقة اللغوية

في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم
دراسة تطبيقية

دكتور

نعمان عبد السميع متولي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٨١١.٠٠٩
م . ن

متولي، نعمان عبد السميع .

المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم دراسة تطبيقية / نعمان عبد السميع متولى .- ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،

١١٢ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

تدمك : 6 – 422 – 308 – 977 – 978

١. لغة .   أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٥١٦٥ - ٢٠١٤.

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

2014

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾ [سورة الحج: الآية ١٨]

إهداء

إلى رفيقة العمر ، واحتي التي آوي إليها
من هجير الحياة فأجد في ظلها الري بعد الظما ،
وفي أكنافها الراحة بعد الشقاء .

فهرس الموضوعات

مفتتح

المفارقة تعني الابتعاد والاختلاف ، ووجود شيئين متباعدين لا تلاقي بينهما والحياة التي نعيشها مليئة بالمفارقة ، مفارقة طول اليوم يواجهها المرء منذ نهوضه من نومه : فهو يرى المرتفعات والمنخفضات ، ويرى الكائنات ؛ القوي منها والضعيف ، ويرى الأرض والسماء ، ويمر بالظل و الحرور ، ويرى الشيخ الكبير الذي بلغ من العمر أرذله ، كما يرى الطفل الوليد ، ومفارقة بين الجميل والقبيح والخير والشر ، وبين الظلم والعدل .

وقد شاع استخدام مصطلح المفارقة في نهاية القرن الثامن عشر وكانت يقصد به (وجود كلام مغاير للمعنى).مع ما تحمله الكلمات من دلالات متباينة يتفهمها القارئ بعد كد وإعمال ذهن .

وهي - بعبارة أخرى - التعبير عن شيئين متباينين ، ولأن لغتنا العربية تنفرد وتتميز عن غيرها من لغات العالم ، فكلمة واحدة يمكن أن تعطي القارئ أكثر من معنى ودلالة. انظر إلى الفعل (قضى) وما يحمل من دلالات ، فتقول :

- ❖ قضى القاضي بالعدل بين الناس . أي حكم .
- ❖ قضى الرجل ما عليه من دَين .أي أدى ما عليه .
- ❖ قضى نحبه . أي هلك ومات .

وفي المفارقة تتعدد التفسيرات. وعلى هذا الأساس هناك مستويان(ظاهر وخفي) تربط بينهما علاقة ما يساعد القارئ في البحث عن المفارقة في المستوى الخفي.

وليست المفارقة وجود اختلاف أو تباين في الجملة أو العبارة فقط، بل يكون التباين بين الأفكار في النص المكتوب. ويكثر ذلك في اللغة الساخرة الجادة للظاهرات الاجتماعية والمواقف السياسية المتباينة .

وقد يبدو النص المقروء – من خلال القراءة الأولى - سطحيا بلا معنى، خاليا من المضمون الجيد الذي يهم الإنسان ، ولكن القراءة الثانية أو الثالثة، تكشف للقارئ الدلالة العميقة والمعنى البعيد الخفي .

" والمفارقة ليس لها جهان، ولا ميزان يقدّر ارتفاع حرارتها أو انخفاضها. فالميزان الوحيد هو المتلقي، ومدى قدرته وثقافته وتفتح ذهنه، هو الزئبق الوحيد القادر على كشف المفارقة ومعرفة أبعادها الأفقية ".

وليس عجيبًا ولا غريبا أن يدرك النقاد العرب قديما أن حس الشاعر بـ(المفارقة) لا يقتصر على رؤية الأضداد فقط بل يتعدى إلى وصفها ووضعها في إطارها الصحيح (المفارقة).

وقد كان شاعرنا (أبو الطيب المتنبي) رائعا في مفارقاته اللغوية التي أولاها اهتماما خاصا فيما أبدع من قصيد ، فما تزال شواهد المفارقة التي ضمنها شعره تتناقلها ألسنة الأجيال في إعجاب وغبطة ، **تأمل قوله** :

ذُو العَقْلِ يَشقَى في النَّعيمِ بعَقلِهِ وَأخو الجَهَالةِ في الشَّقَاوَةِ يَنعَمُ

تجد عجبا ؛ إذ كيف يكون العقل سببًا في شقاء الإنسان في النعيم ؟ ، وهل النعيم شقاء ؟ وكيف يكون الجاهل منعما في شقائه ؟

تساؤلات يثيرها بيت المتنبي فيدهشك ما فيه من التعارض والتناقض والتقابل ، مما يؤدي إلى استثارة وعي المتلقي وتحفيزه لإدراك المعاني الخفية التي تنطوي عليها هذه (المفارقة).

إنه في هذا البيت يقوض ما رسخ في ذهن القارئ من حقائق وثوابت حين يصبح العقل نقمةً والجهل نعمة، ويتحول الشقاء نعيمًا والنعيم شقاء، من خلال ما صاغ من تعارض بين العبارتين (يشقى في النعيم) و(في الشقاوة ينعم)، ليقيم مفارقة شعرية تثير الدهشة وتدعو للإعجاب.

والمنطقي المقبول الثابت في ذهن المتلقي أن صاحب العقل سليم التفكير قوي الإرادة وأن العقل نعمة حباها الله تعالى للإنسان وميزه بها عن غيره، من سائر المخلوقات، ليفرق بين الغث والثمين والطيب والخبيث، لذلك فمن غير المتوقع أن يكون الإنسان غريبًا عن ذاته، فيرى في النعيم شقاءه، ويرى في الشقاء نعيمه؛ لأنه مما يخالف الطبيعة الإنسانية فجاءت العبارتان (يشقى في النعيم) و(في الشقاوة ينعم)، لتحطم التوقع، وتخالف المألوف بما تحمل من (مفارقة) ساخرة، تقلب المفاهيم وتناقض المتوقع.

والذي لا شك فيه أن حياة المتنبي، وسيرته الذاتية وما تغص به من مفارقات وتناقضات تقف وراء ما نلمسه في شعره من سخرية حينا وتهكم حينا ومفارقات في أحايين كثيرة.

وشواهد المفارقة في شعرنا القديم كثيرة تعج بها كتب الأدب ودواوين الشعراء، لذلك جاء هذا المؤلف ليتناول (المفارقة اللغوية) وما يدور حولها، وما تحمل من دلالات وإيحاءات، وما تحقق من متعة للمبدع والمتلقي.

أسأل الله العون، آملًا أن يكون في هذا الكتاب نفع وفائدة للقارئ.

دكتور نعمان

المحلة الكبرى/ منشية البكري

المفارقة

لغة واصطلاحا

من الموضوعات التي نالت اهتمام الباحثين اللغويين في العصر الحديث واحتلت حيزًا كبيرًا من التناول، لذلك رأينا أن ندلي بدلونا في هذه القضية المهمة.

والمفارقة معجميا تعني :

في لسان العرب :

الفَرَقُ: خلاف الجمع، فَرَقه يَفْرُقُه فَرقًا وفرّقه، وقيل: فَرَقَ للصلاح فَرقًا، وفَرَّق للإفساد تفْريقًا، وانفَرَقَ الشيء وتَفرَّق وافْتَرقَ.

وفي الحديث: البَيِّعَانِ بالخيار ما لم يَفْتَرِقَا، اختلف الناس في التَّفرُّق الذي يصح ويلزم البيع بوجوبه **فقيل**: هو بالأبدان، وإليه ذهب معظم الأئمة والفقهاء من الصحابة والتابعين، وبه قال الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة ومالك وغيرهما

وفي الحديث: من **فارَقَ** الجماعة فَميتَتُه جاهليّة؛ يعني أن كل جماعة عَقَدت عَقْدًا يوافق الكتاب والسنَّة فلا يجوز لأحد أن **يفارقهم** في ذلك العقد.

وقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٥٠]

وإذ فَرَقْنا بكم البحر؛ معناه شققناه.

والفِرْقُ: القِسْم، والجمع أَفْراق.

والفِرقُ: الفِلْق من الشيء إذا انفَلَقَ منه؛ **ومنه قوله تعالى:**

﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء: الآية ٦٣]

وفَرَق بين القوم يَفْرُق ويَفْرِق.

وفي التنزيل: فافْرُقْ بيننا وبين القوم الفاسقين وتَفَرَّق القوم تَفَرُّقًا وتَفْرِيقًا؛ والفُرْقة: مصدر الافْتِرَاق.

وفارَقَ الشيءَ **مُفَارقةً** وفِرَاقًا: بايَنَهُ، والاسم الفُرْقة.

وتَفارقَ القومُ: **فَارَقَ** بعضهم بعضًا.

وفَارَقَ فلان امرأته **مُفَارقةً** وفِراقًا: بايَنَها.

مصطلح المفارقة :

المفارقة أسلوب بلاغي يقوم على التضاد ، يبرز فيه المعنى الخفي في تضاد ملموس مع المعنى الظاهري ، معتمدًا على المفارقة اللفظية أو مفارقة الموقف أو السياق، وهو أمر يحتاج إلى مجهود لغوي ، وكد ذهني ، وتأمل عميق للوصول إلى التعارض، وكشف دلالاته بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الذي يتضمنه النص و فضاءاته البعيدة .

و للمفارقة وظيفة مهمة في الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص، فهي في الشعر تتجاوز حدود الفطنة وشد الانتباه، إلى إيجاد التوتر الدلالي في القصيدة عبر التضاد في الأشياء، الذي قد لا يتولد فقط من خلال الكلمات المثيرة والمروعة في السياق، بل عبر إمكانات الشاعر أو الأديب البارعة في توظيف مفردات اللغة العادية واليومية ، وكلما اشتد التضاد ، ازدادت حدة المفارقة في النص .

والمفارقة مصطلح استخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض . وقد عرف شعرنا القديم هذه الظاهرة ، وفطن

في الدور الذي تقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين في إبراز معنى كل منهما ، ولمحناه في قول الشاعر دوقلة المنبجي :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

ومع ذلك فلم تهتم البلاغة العربية بهذا النمط الفني ، لكنها صرفت جل اهتمامها بالبديع القائم على فكرة التضاد ، وعالجته تحت مسمى (الطباق والمقابلة) ، كما عولجت المفارقة في أبواب بلاغية أخرى كالتورية والكناية والتعريض والتهكم

فمن المفارقة اللفظية :

قول الله تعالى :

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [سورة التوبة: الآية ٣]

معروف أن البشرى تكون في المناسبات السعيدة والأخبار السارة ، غير أنها جاءت في هذه الآية الكريمة للدلالة على البشرى بالعذاب .

وفي إطار السخرية والتهكم :

تقول العرب : (رجل طويل الأذنين).

ظاهر الكلام هنا أنه يصف عضوا من أعضاء الجسم ، ولكن دلالة اللفظ على أنه غبي قليل الفهم وهذا أدخل في باب الكناية .

وفي إطار التعريض :

ورد في العقد الفريد أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سمع امرأة وهي تطوف

بالبيت الحرام تقول :

فمنهن من تسقى بعـذب مبرد نقاخ فـتلكم عند ذلـك قـرت
ومنهن من تسقى بأخضر آجن أجاج ولـولا خشـية الله قـرت

والمرأة في هذين البيتين تريد أن تقابل بين امرأتين إحداهما تحت زوج نقي الفم طيب الرائحة يرضي المرأة ، والأخرى تحت زوج أبخر خبيث رائحة الفم لا يرضيها ولا يقدم لها ما تريد .

وقد فهم عمر مراد المرأة وما يحمل أسلوبها من مواربة وتعريض بزوجها وكان عمر – رضي الله عنه – يتوقع من المرأة أن تدعو الله بشكل مباشر دون مواربة ، لأنه العليم الخبير (الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

ومن التعريض (الإساءة)

فمما روي : أن الخليفة العباسي المأمون قال لقارىء : اقرأ ، **فقال**:

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
[سورة المائدة: الآية ٣٠]

فأمر المأمون بحبس الرجل القارئ ، لأنه أساء للمأمون الذي قتل أخاه الأمين بسبب خلاف بينهما على الخلافة ، والمأمون يعرف قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم فعلم أنه المقصود .

غير أن المفارقة التصويرية صياغة تختلف كل الاختلاف عن المطابقة والمقابلة ، سواء من ناحية بنائها الفني ، أو من ناحية وظيفتها الإيحائية، وذلك لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ، في جزء من القصيدة وربما في القصيدة كلها (والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صوره فكرة تقوم

على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف ، والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض ، والتي تقوم المفارقة التصويرية بدور فعال في إبراز أبعادها).

وتبرز المفارقة في الأدب (شعره ونثره) في أشكال عدة :

فهي في الشعر تبدو في التضاد بين المفردات ، وأسلوب المقابلة في السياقات المختلفة ، وفي المفارقة المعنوية بين ظاهر الأشياء وباطنها وتلجأ – أحيانا – إلى السخرية في كشف باطن النص الخفي .

وفي المسرحية تأتي المفارقة في شكل كوميدي أو مأساوي ، تتأجج فيه العواطف والأفكار وتتقاطع، (فقد تُضحك المفارقة بمأساتها، وقد تُبكي بسخريتها).

لقد اعتمد الشعر العربي قديمه وحديثه في بناء نسيجه على عنصر المفارقة وأن أغلب القصائد الشهيرة في الشعر العربي تعتمد في شعريتها وبنائها اللساني على المفارقة وعمودها الفقري التضاد. سواء أكانت مفارقتها لفظية أم سياقية.

إن المفارقة جوهر في الأدب، لأنها تقوم على الصراع بين الأشياء : الحياة والموت، المتصور والمألوف، الفاني والأزلي، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة فهي نظرة فلسفية للوجود من حولنا ، قبل أن تكون أسلوبا بلاغيا .

والمفارقة نوعان :

- ✓ مفارقة لفظية .
- ✓ مفارقة الموقف أو السياق.

فالمفارقة اللفظية هي التي يكون فيها المعنى الظاهري واضحًا، ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة.

وكثيرًا ما يكون المعنى فيها هجوميًا، وخاصة في شعر الهجاء. وهذه المفارقة يتعمدها الشاعر، ويخطط لها، عبر التضاد بين المظهر والمخبر.

يقول أحمد بن محمد يعقوب الملقب مسكويه هاجيًا أحدهم :

أيا ذا الفـــضل واللام حـــاءُ	ويا ذا المـــكارم والميم هاءُ
ويا أنجب الناس والبـــاء ســينٌ	ويا ذا الصيانة والصـــاد خـــاءُ
ويا أكتب النـــاس والتـــاء ذالٌ	ويا أعلم النـــاس والعـــين ظـــاءُ
تجود على الكـــل والـــدال راء	فـــأنت الســـخي ويتلـــوه فـــاء

انظر إلى المفارقة اللفظية هنا تجدها ماثلة في براعه الشاعر في وضع حرف مكان آخر فتتغير تبعا له الكلمة ويتغير معناها الطيب إلى معنى سيىء يحقق مقصوده وما يهدف إليه من ذم وهجاء .

ويقول الإمام الشافعي :

يخاطبني الســفيه بكـــل قـــبح	فـــأكره أن أكـــون لـــه مجيبـــا
يزيـــد ســـفاهةً فأزيـــد حلمًـــا	كعـــودٍ زاده الإحـــراق طيبـــا

وتبدو المفارقة في مقابلة الشاعر بين زيادة الحلم وزيادة السفاهة ، ومخاطبة السفيه وكراهة مخاطبته ، لتبرز دلالة المفارقة ، وتؤدي غرضها في التنفير من سلوك السفهاء.

أما النوع الثاني من المفارقة، فيعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث من حوله، وتصويرها بمنظور المفارقة، ويترك للمراقب (الإنسان)

تحليلها واستنباط أبعادها الفلسفية والشعورية، وكشف خيوط تعارضها. ومن هنا تختلف المفارقة اللفظية عن السياقية في أن الأولى تعتمد في كشف حقيقتها أولاً على صاحب المفارقة (الشاعر). أما المفارقة السياقية فإنها تعتمد على المراقب أو القارئ في استنباط وكشف التعارض بين المعنى الظاهري والخفي.

إن القراءة الأولى للنص - أي نص - تجعلنا نراه سطحيا بلا معني أو لا عمق فيه ، أو يظهر بأنه نص فارغ من المضمون الجيد الذي يهم الإنسان ويرضى غروره ومتطلباته .

ولكن في القراءة الثانية وربما الثالثة، يستطيع القارئ أن يكتشف الدلالة العميقة التي يتضمنها النص ، والتي لم تكن بادية أمام عينيه .

ويخطىء من يظن أن للمفارقة اللغوية قياسا تقاس به ، أو ميزانا يقدّر ارتفاع حرارتها أو انخفاضها.

المقياس الوحيد هو المتلقي، ومدى قدرته وثقافته وتفتح ذهنه، هو الزئبق الوحيد القادر على كشف المفارقة ومعرفة أبعادها وما تحمل في طياتها من متناقضات .

والمفارقة بهذا المعنى أسلوب بلاغي يبرز فيه المعنى الخفي في تضاد ملموس مع المعنى الظاهري. لذلك تحتاج المفارقة - وخاصة مفارقة الموقف أو السياق - إلى إعمال ذهن، وتأمل عميق للوصول إلى التعارض، وما يحمل في طياته من دلالات التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الغائص في أعماق النص وفضاءاته البعيدة.

كما أن للمفارقة وظيفة مهمة في الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص فهي في الشعر تتجاوز حدود الفهم واستيعاب المحتوى ، إلى إيجاد التوتر الدلالي في القصيدة عبر التضاد في الأشياء، وقد يحدث بدوره اختلافا ومفارقة مع ما هو موجود خارج النص ، فتكون مفارقة في السياق بين ما هو داخل وما هو كائن خارج حدود النص .

المفارقة اللغوية
في الدراسات الغربية

المفارقة اللغوية (*paradox*)

تعني : التناقض الظاهري، أو أمرًا مُحيرًا ظاهري التناقض.

ويعرفها الفيلسوف الإنجليزي مارك سينسبري بأنها :

" خاتمة قد تبدو غير مقبولة، مستمدة من فرضيات قد تبدو مقبولة من خلال منطق قد يبدو مقبولا ".

ويقسم المفارقة إلى نوعين :

مفارقة خارجية : عندما تناقض معرفة أو فرضية سابقة .

أو تناقض داخلي : عندما يحتوي القول نفسه على شيء وعكسه.

وفي التراث اليوناني القديم :

مصدر الكلمة مفارقة من اليونانية : *para* **وتعني** : بجانب أو ممر،

doxa وتعني (إيمان أو رأي).

ويكون معنى المصطلح (هو شيء يبدو للوهلة الأولى بدون قيمة أو غير ممكن ولكن بعد تفكير عميق يتضح أنه صحيح).

وعند سقراط (الفيلسوف اليوناني) **تدل المفارقات على رؤيته الأخلاقية** :

ونظرته إلى القيم الأخلاقية الفاضلة ومدى مفارقتها وتعارضها مع الواقع والتي بني عليها مدينته الفاضلة وما فيها من قيم ومثالية .

وفي الدراسات اللغوية الحديثة – كما يرى علماء الغرب – أن المفارقة اللغوية تقنية تقوم على التلاعب بدلالات الألفاظ وإعطائها أبعادًا غير متوقعة تحدث عملية تحويل في معنى النص بكامله بحيث يأخذ دلالات جديدة تمامًا لا تمت بصلة إلى الخط التصاعدي للمعنى الكلي الافتراضي .

لذا يقول الناقد كلينستا بروكس "إن الحقيقة التي يسعى الشاعر إلى كشفها لا تأتي إلا عبر أسلوب المفارقة" .

ولقد وظف الشعراء الكبار من الغربيين المفارقة في شعرهم، أمثال :

شكسبير، و أليوت، وبايرن وتوماس دان وبوب وكري وشيلي وفيليب سدني وغيرهم كثير، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من قصائدهم من مفارقة وتلاعب بالألفاظ.

المفارقة اللغوية

في

التراث النقدي

مقدمة

تراثنا النقدي القديم – كما عودنا – زاخر بكل ما هو ثمين طيب ، وأجدادنا القدماء كانوا دائما متميزين ، سبقوا عصرهم ، وتفوقوا على أنفسهم فلم يتركوا شيئا مما يتعلق باللغة وأصولها إلاَّ وأدلوا فيه بدلوهم ، وحازوا فيه قصب السبق والتفرد .

وعجيب الأمر أن ما نراه من دراسات لغوية غربية ، وما يرد إلينا من مسميات تمت إلى اللغة وقضاياها نجد لها أصولاً وتقعيدًا عند شيوخنا العرب الأجلاء ، ولكن تحت مسمى آخر.

إن من يتأمل تراثنا البلاغي النقدي القديم يجده زاخرا يغص بقضايا اللغة وما يتعلق بها ، وحسبك ما كتبه ابن جني والخليل بن أحمد والجرجاني و قدامة بن جعفر و الباقلاني و السكاكي وأبو هلال العسكري وغيرهم من أجدادنا الفضلاء .

وليس أدل على أخذ الغرب من تراثنا النقدي أن (نظرية النظم) كانت الأساس الذي بني عليه دي سوسير وشتراوس وجوليا كريستيا وغيرهم من علماء الغرب اتجاهات النقد الحديث ممثلاً في الأسلوبية والبنيوية و التفكيكية ، وإن لم يصرحوا هم بذلك ، ولكن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير.

وحري بنا عبر الصفحات التالية أن نشير إلى وجود المفارقة اللغوية في إبداعات شعرائنا وعلمائنا ، ولكن – كما أشرنا – تحت مسميات أخرى هي ما سنعرض له في فصولنا التالية من هذا المصنف ، فتعالوا بنا نتبين حقيقة أمر المفارقة اللغوية .

بداية ننوه إلى أن المفارقة اللغوية عولجت في تراثنا البلاغي في أبواب كثيرة

منها :

- ✓ العدول .
- ✓ الالتفات .
- ✓ التورية.
- ✓ المجاز.
- ✓ رد الأعجاز على الصدور .
- ✓ الكناية .
- ✓ التهكم .
- ✓ التعريض .

ونفصل القول فيها على النحو التالي :

العدول

العدول في المعجم

جاء في لسان العرب :

العَدْل: ما قام في النفوس أنه مُسْتقيم، وهو ضِدُّ الجَوْر.

عَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ

وعَدَّلَ الحُكْمَ: أقامه.

وفلان يَعْدِل فلانًا أي يُساوِيه.

ويقال: ما يَعْدِلك عندنا شيءٌ أي ما يقَع عندنا شيءٌ مَوْقِعَك.

وعَدَّلَ المَوازِينَ والمَكاييلَ: سَوَّاها.

وعَدَلَ الشيءَ يَعْدِلُه عَدْلاً وعادَله: وازَنَه.

وعادَلْتُ بين الشيئين، وعَدَلْت فلانًا بفلان إذا سَوَّيْت بينهما.

وتَعْدِيلُ الشيء: تقويمُه، وقيل: العَدْلُ تَقويمُك الشيءَ بالشيءِ من غير جنسه حتى تجعله له مِثْلاً.

والعَدْلُ والعِدْلُ والعَدِيلُ سَواءٌ أي النَّظِير والمَثِيل، وقيل: هو المِثْلُ وليس بالنَّظِير عَيْنه والعَدِيلُ: الذي يُعادِلك في الوَزْن والقَدر.

وعَدَلْت الشيءَ بالشيء أَعْدِلُه عُدولاً إذا ساويته به؛ قال شمر: وأما قول الشاعر:

أَفَذاكَ أَمْ هِيَ في النَّجا ء، لِمَنْ يُقارِبُ أَو يُعادِل؟

يعني يُعادِلُ بي ناقته والثَّوْر.

واعْتَدَل الشِّعْرُ: اتَّزنَ واستقام، وعَدَّلْته أنا.

وعَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولا: حاد، وعن الطريق: جار، وعَدَلَ إليه عُدُولًا: رجع.

وعَدَلَ الطريقُ: مال.ويقال: أَخَذَ الرجلُ في مَعْدِل الحق ومَعْدِل الباطل أي في طريقه ومَذْهَبه.

عَدَل عنه يَعْدِلُ عُدولا إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر.

تعريف العُدول:

هو أسلوبٌ رفيعٌ من القول يخرج فيه منشئ الكلام عن النمط المألوف إلى نمطٍ غير مألوف لدواعٍ بلاغية ومعنوية ولتحقيق سمة جمالية وإبداعية

في الكلام ؛إذ يضفي على الكلام خصائص ومزايا لم تكن لو كان الكلام على النمط المعتاد.

و(العُدُول) أسلوب لا يستطيعه إلاَّ من رزق ملكة البيان وفصاحة القول واللسان ، وقد تناوله العرب الأوائل وأكثروا منه .

وللعدول أنواع هي :

١- العُدول في تركيب الجملة

٢- العُدول عن مطابقة النعت لمنعوته بالحركات الإعرابية.

٣- العُدول من الفعل إلى الاسم أو العكس.

٤- العدول بالالتفات.

وتفصيل هذه الأنواع هو :

أولاً: العدول في تركيب الجملة .

والمقصود به التمييز المحول عن شيء آخر على النحو الآتي :

- **تمييز محول عن المبتدأ مثل** : أنا أكبرُ منك عمرًا .

والتقدير :(عمري أكبر من عمرك) .

ومثله من القرآن الكريم قول الله تعالى :

﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الكهف: الآية ٣٤]

والتقدير : (مالي أكثر من مالك ونفري أعزّ من نفرك).

- **تمييز محول عن الفاعل مثل** :

كرم محمد أصلا . أي : كرم أصل محمد .

طبتَ عيشا . أي : طاب عيشك .

طبتُ نفسًا والتقدير : طابت نفسي.

- **مُبيز محول عن المفعول به مثل** : زرعتُ الحديقةُ أزهارًا . والتقدير : زرعتُ أزهارَ الحديقةِ

ومثاله من القرآن الكريم :

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة القمر: الآية ١٢]

والتقدير : وفجرنا عيونَ الأرضِ .

ففي العدول من التركيب الأصل إلى الفرع تكون الجملة أدت معنى جملتين وذلك بتحويل الإسناد في (كرم محمد أصلاً) ، وصارت كلمة (أصلاً) بهذا التحويل فضلة، وبذلك تكون قد نسبت الكرم أولاً إلى محمد بكل صفاته المادية والمعنوية ثم خصصت الكرم بمحمد دون سواه من خصائص زيد .

ومن يتأمل الجملتين الأصل والمعدول إليها ويدقق فيهما يجد الفرق واضحًا ففي الأصل نجد الكرم مقصورًا على محمد دون أن يتعداه إلى ما سواه، في حين نجد في الجملة المعدول إليها الكرم شمل أولاً محمدًا بكل مكوناته وخصائصه ثم نسب مرة ثانية إلى محمد وخصص به.

ثانيا :العُدول عن مطابقة النعت لمنعوته بالحركات الإعرابية:

معلوم أن النعت يطابق منعوته بالحركات الإعرابية رفعًا ونصبًا وجرًا، غير أنه من أساليب العربية العدول عن هذه المطابقة إلى المخالفة بحركة الإعراب **مثل قولك** :

مررت بعلي الكريم ، **بنصب كلمة الكريم** :

أفدت بأنك مررت بالمذكور وأنك مدحته بالكرم إذ إنه بعُدولك كلمة الكرم من الجر إلى النصب جعلتها مفعولاً به لفعل تقديره: أمدح الكريم .

وفي هذا العدول من الجر إلى النصب إثارة لذهن القارئ، لأنك في المخالفة عن المألوف أثرت ذهنه إلى أمر غير معتاد ولا مألوف، وجعلته يتفكر ويتأمل في التركيب لمعرفة علة هذه المخالفة وهذا الانزياح والخروج عن المألوف.

ثالثا: العُدول من الفعل إلى الاسم أو العكس:

من المعلوم عند اللغويين أن الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث، ولتحقيق هذه المعاني من التجدد أو الثبوت يُعدل أحيانًا من التعبير بالفعل إلى الاسم أو العكس، **فمن ذلك قوله تعالى:**

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ﴾ [سورة الروم: الآية ١٩]

فظاهر الكلام يقتضي أن يقال: ويُخرجُ الميتَ من الحي، إلاّ أنه عدل من الفعل إلى الاسم، وفي ذلك سرٌّ لطيفٌ وغايةٌ شريفةٌ وذلك أن الحركة هي أبرز صفات الحي، بل هي الصفة التي تميزه من الميت، ولذا عبر عن ذلك بالفعل المضارع (يخرج) الدال عن الحركة والتجدد، أما الميت فهو هامدٌ جامدٌ لا حركة فيه، ولذا عدل في التعبير عنه إلى الاسم الدال على الثبوت والدوام.

العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية وعكسه:

مثل قوله تعالى: (أي: العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة لقمان: الآية ٣٣]

فلقد أوثرتِ الجملة الفعلية في نفي جزاءِ الوالد عن ولده، ثم عدل عنها إلى الجملة الاسمية عندَ نفي جزاء الولد عن الوالد (وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ...

يقول الألوسي في تفسير تلك المخالفة: "إنَّ العرب كانوا يدَّخرون الأولاد لنفعِهم، ودفع الأذى عنهم، وما يهمهم، ولعلَّ أكثر الناس اليوم كذلك، فأُريد حسْمُ توهُّم نفعهم ودفعهم، وكفاية المهمِّ في حقِّ آبائهم يوم القيامة، فأكدت الجملة المفيدة لنفي ذلك عنهم". ذلك أن الأبناء - دائمًا - هم مثار افتتان الإنسان واغتراره بالحياة، لأنهم المستقبل و الأمل الذي يعقده عليم الآباء، ومِن ثَمَّ فإنَّ مراد العدول في الآية هو اقتلاعُ ما قد يتسلَّل إلى النفس البشرية - من أي جنس، وفي أي عصر - من توهُّم نفع الأبناء، وهو خطاب عام لعموم الجنس البشري .

العدول عن الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية، مثل قوله تعالى:-

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[سورة المؤمنون: الآية ١٦]

ففي الآية الكريمة جاء الحديثُ عن " الموت" من خلال الجملة الاسمية" (ميتون)؛ ليرسخ معنى السكون والخمود، وينبه المتلقي خالي الذهن، المشغول بمتاع الدنيا ،فأنزلتْــــه الصياغة المخالِفة لمقتضى الظاهر منزلةَ المنكر للموت وحُوطب بالجملة الاسمية المؤكدة بمؤكدين: "إن"، و" اللام" (لميتون)؛ ليتنبه - بعد غفلة - إلى أن الموت هو اليقين الحقيقي في هذه الحياة.

وعندما انتقلتِ الصياغة إلى الحديث عن البَعْث، جاء الخطاب بالجملة الفعلية (تُبعثون)؛ لما في استخدام الفعل المضارع من صفة الاستمرارية ولتصوير الحركة الدائمة، حتى يستحضر المتلقِّي هذه الصورة.

وهكذا أسهم العدول من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية في تجسيم المفارقة المعنوية بين الموت والبعث، بين حالة السُّكون والجمود.

العدول عن الجملة الخبرية إلى الإنشائية وعكسه :

مثل قوله تعالى -:

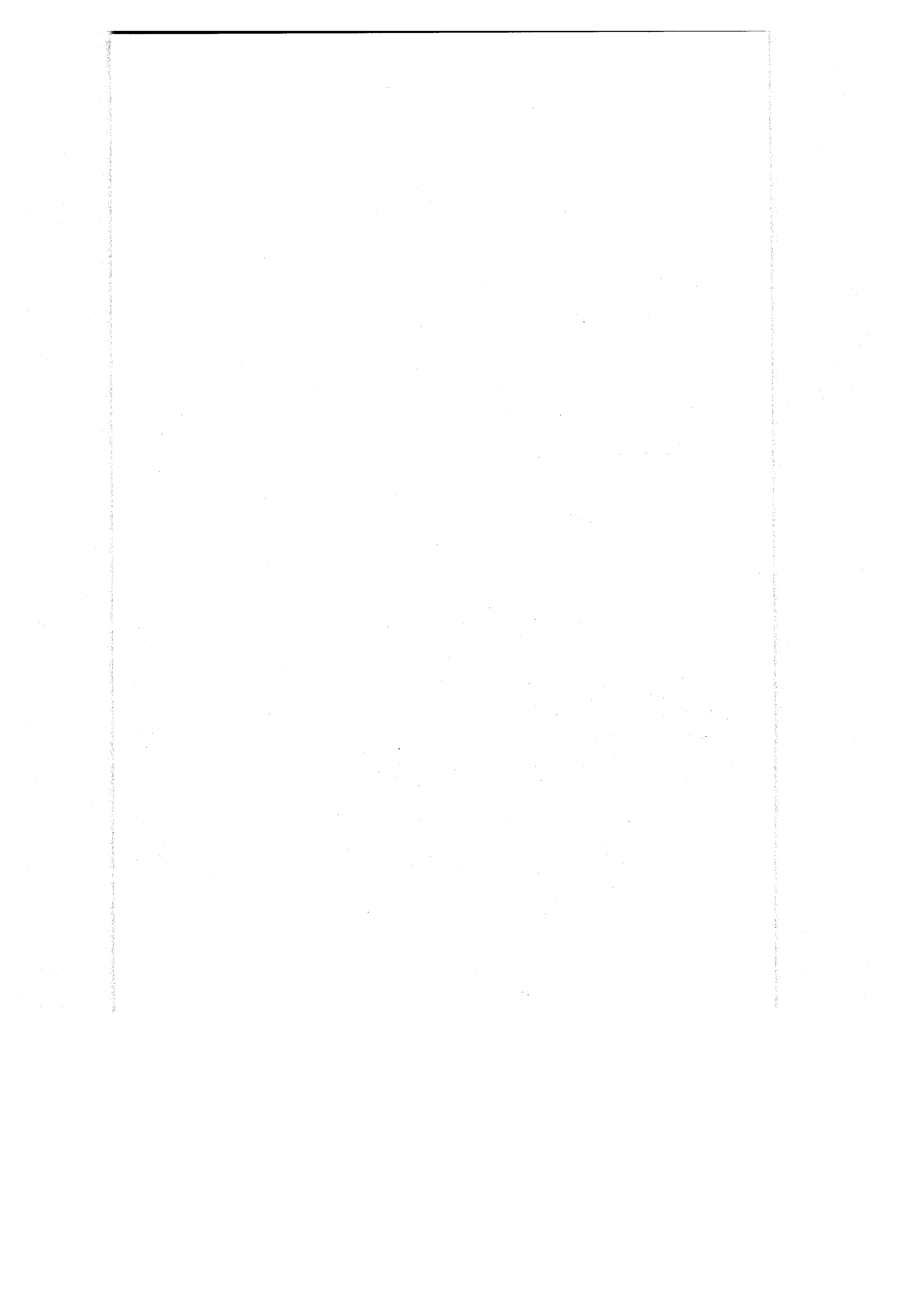
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

[سورة الصف: الآية ١١]

نلحظ في قوله تعالى :- تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أنَّ ظاهر الصياغة خبرية، ولكن المقصود حثُّ المخاطَبين على فعْل ذلك، والإسراع إلى تنفيذه، بدليل الاستفهام التشويقي الوارد في قوله (هل أدلُّكم)؟ وفي ذلك حثٌّ وتشويق وأمر وتقدير المعنى : آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله، ولكن أسلوب القرآن آثر العدول عن الإنشاء إلى الخبر لما في ذلك من حث وتشويق للمؤمن ، حتى تربح تجارته .

وواضح من الأمثلة السابقة أن العدول أحدث المفارقة بالتعبير بالجملة الفعلية بدلاً من الاسمية ، أو بالعدول من الاسم إلى الفعل أو العكس أو العدول عن مطابقة النعت لمنعوته .

الالتفات



معناه المعجمي :

جاء في لسان العرب : اللَّفْتُ: اللَّيُّ.

لَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتًا : لواه على غير جهته؛ وقيل: اللَّيُّ هو أن تَرْمِيَ به إلى جانبك.

ولَفَتَه عن الشيء يَلْفِتُه لَفْتًا: صَرفه. الفراء في قوله عز وجل:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [سورة يونس: الآية ٧٨]

اللَّفْتُ: الصَّرْفُ؛ يقال: ما لَفَتَك عن فلانٍ أي ما صَرَفَك عنه؟واللَّفْتُ: لَيُّ الشيءِ عن جهتِه، كما تَقْبِضُ على عُنُقِ إنسانٍ فتَلْفِتُه؛ ولَفَتُّ فلانًا عن رأْيه أي صَرَفْتُه عنه، ومنه الالْتِفاتُ.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة هود: الآية ٨١]

أُمِرَ بتَرْكِ الالْتِفاتِ، لئلا يرى عظيمَ ما يَنْزِلُ بهم من العذاب.

وفي الحديث في صفته، ﷺ : فإذا الْتَفَتَ، الْتَفَتَ جميعًا؛ أراد أنه لا يُسارِقُ النَّظَرَ؛ وقيل: أراد لا يَلْوِي عُنُقَه يَمْنةً ويَسْرةً إذا نظَر إلى الشيءِ، وإنما يَفْعَلُ ذلك الطائشُ الخَفيفُ، ولكن كان يُقْبِلُ جميعًا ويُدْبِرُ جميعًا.

وفي الحديث: فكانتْ مِنِّي لَفْتةٌ؛ هي المَرَّة الواحدة من الالْتِفاتِ.

الالتفات في الاصطلاح:

هو الانتقال من أسلوب إلى آخر لإرادة معنى بعينه ولغرض بلاغي وغاية من الإبداع والمتعة الفنية.

ويعرفه البلاغيون بأنه أسلوبٌ ينتقل فيه الأديب من الحديث بصيغة الغائب إلى صيغة المتكلم ، أو من المتكلم على المخاطب وغيرها من وسائل الانتقال

ومثال الالتفات من القرآن الكريم قول الله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة: الآية ١-٥]

فقد التفتت الآية الكريمة من استخدام ضمير الغائب إلى ضمير الخطاب.

وكانت أول إشارة إلى هذه الظاهرة ما نجده عند أبي عبيدة معمر بن المثنى إذ قال: ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته إلى مخاطبة الغائب. قال الله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: الآية ٢٢]

وقد تحدث الزمخشري وهو يعرض لأول التفات في سورة الفاتحة:

(هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ... على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه).

وسمّاه أسامة بن منقذ (الانصراف)، إذ قال: باب الانصراف: وهو أن يرجع من الخبر إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الخبر) (١)

ويقول السكاكي: (واعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتهن ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتًا عند علماء المعاني(٢)

ويقول ابن الزملكاني عن الالتفات: وهو أن تعدل من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى التكلم ... وهو من أساليب الافتنان في الكلام، ولأنه إذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب كان ذاك أنشط للإصغاء وأيقظ للسامع مما لو أجرى الكلام على أسلوب واحد (٣)

أما ضياء الدين ابن الأثير فيذهب ابن الأثير إلى أن الالتفات من (البيان) إذ قال :هذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدَنْـــدَن واليها تستند البلاغة. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا. (٤)

أقسام الالتفات :

١- **الالتفات** من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة .

٢- **الالتفات** من الغيبة إلى الخطاب.

٣- **الالتفات** من التكلم إلى الخطاب.

٤- **الالتفات** من الخطاب إلى التكلم.

٥- **الالتفات** من الغيبة إلى التكلم.

٦- **الالتفات** من التكلم إلى الغيبة .

أما أمثلة الالتفات فكثيرة منها :

- **قول الله عز وجل:**

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [سورة يونس: الآية ٢٢]
حيث التفتت الآية من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة .

- **ومثل قول الشاعر** :

أقـــولُ لـــه والـــرمحُ يـــأطرُ متنهُ تأمل خفافا إنني أنـــا ذلكـــا

- **مثل قول الله تعالى** :

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ﴾

[سورة الروم: الآية ٣٩]

- وقوله تعالى :

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [سورة يس: الآية ٢٢]

- وقوله تعالى :

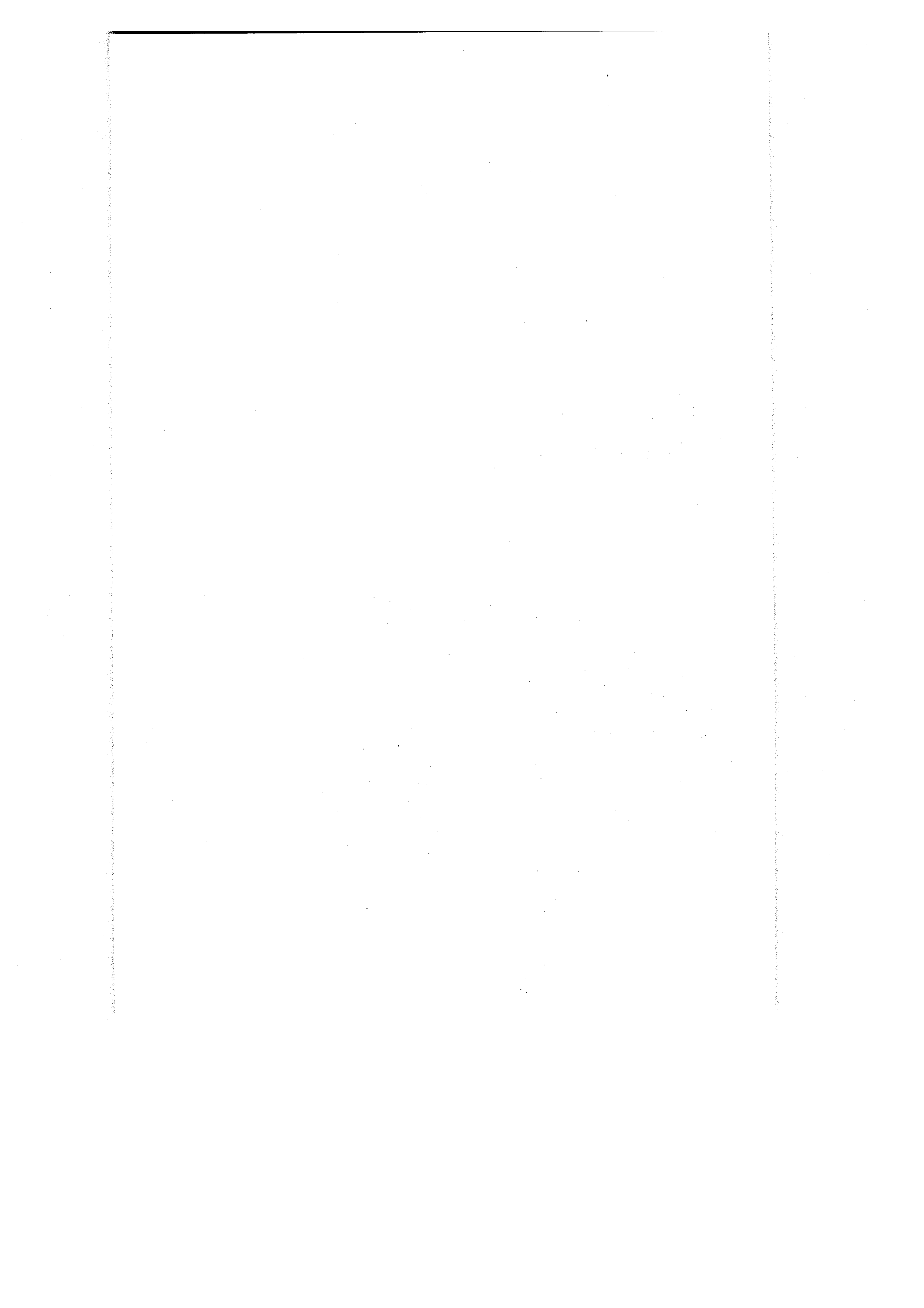
﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢﴾ [سورة الفتح الآية ٢]

- وقول الشاعر :

يا دار ميـــة بالعليـــاء فالســـند أقوت وطال عليها سالف الأمـــد

ولاشك أن في الالتفات مفارقة تتمثل في تفضيلك التعبير بضمير الخطاب بدلا الغيبة ، التكلم بدلا من الخطاب ، وهو أمر يؤكد طواعية اللغة العربية ، ويثبت أنهـا لغـة مرنـة يتـيح نظامهـا النحـوي ومـا فيـه من الأساليب وطرائـق التعـبير مـا يجعـل المتكلم يفضـل أسـلوبًا دون الآخـر وصـولاً إلى معنـى مـا كـان للكـلام أن يكتسبه لو اتبع النمط الآخر.

التـــورية



التورية تعني الإخفاء وعدم الظهور .

وهي لفظ يذكر وله معنيان: معنى قريب وهو غير مراد ، ومعنى بعيد وهو المراد .

من أمثلة التورية قول نصير الدين الحمامي:

أبيـــــات شــــعرك كالقصـــــور
ولا قصــــور بهـــــا يعـــــوق
ومـــــن العجائـــــب لفظهـــــا
حـــــرٌ ومعناهـــــا "رقيـــــق"

فلكلمـة (رقيـق)معنيـان: **الأول** قريـب متبـادر وهـو" العبـد المملـوك" وسـبب تبـادره إلى الـذهن مـا سبقه مـن كلمـة" حـر" **والثاني**: بعيـد وهـو "اللطيـف السـهل" أو الشفاف، وهذا هو المعنى الذي يريده الشاعر بعد أن ستره في ظل المعنى القريب. وأنت تلحظ أن التورية تضفي على المعنى غموضًا لا يصل حدَّ الإبهام؛ إذ فيها التي تثير ذهنية المتلقي للنص الأدبي .

ولكن لماذا تعد التورية مفارقة لغوية ؟

هي مفارقة لما فيها من الخفاء والتجلي ، وما فيها من تضاد بين ما هو قريب متبادر للذهن ، وبين ما هو بعيد غير ملتفت إليه ، ولأن البعيد هو المراد المقصود ، وما يتطلب الوصول إليه من كد للعقل ، وإعمال للذهن حتى يدرك المعنى المطلوب .

ومن التورية المكررة قول ابن نباتة في الغزل :

بروحـــــي جيـــرة أبقـــوا دمـــوعي

وقـــدر رحلـــوا بقلبـــي و اصـــطباري

كأنّـــا للمجـــاورة اقتســـــــــــــمنا

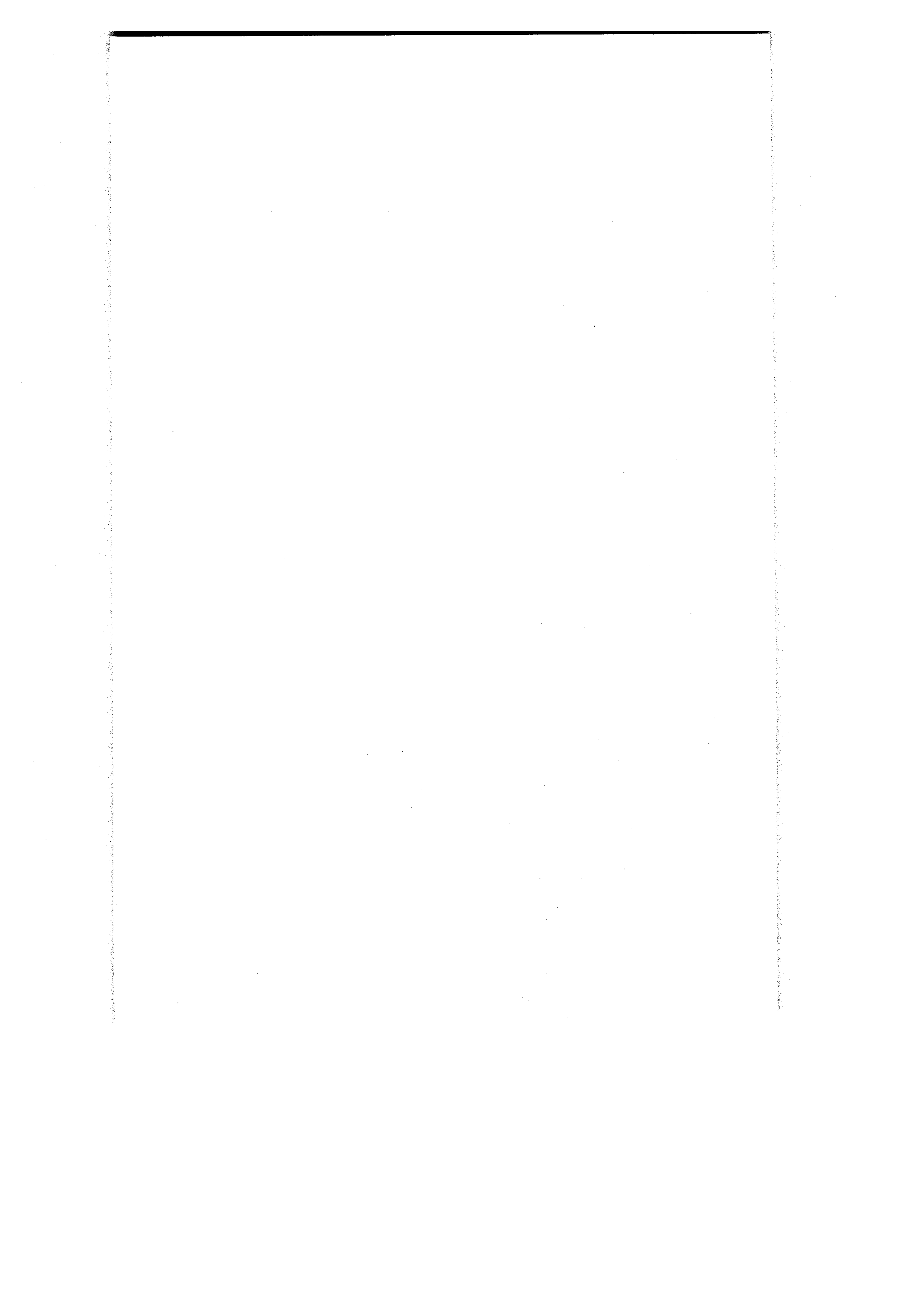
فقلبـــــي جـــارهم والـــــدمع جـــاري

تحدث ابن نباته عن اقتسام المجاورة على أحبابه، هم جاوروا قلبه و هو جاور دمعه ، فالمعنى الظاهر القريب لكلمة (جاري) هو المجاور، ولكن المعنى البعيد الذي يقصده الشاعر هو سيلان الدمع لكثرة بكائه .

ففي هذا البيت جمع الشاعر التورية مع الجناس بكلمة (جاري) فالذي يتبادر إلى الذهن أنها من الجوار و هو يريد الجريان والبراعة في هذا الاستخدام أن الكلمة تصلح للمعنيين ، فدمعه يوصف بالجريان لغزارته و يوصف بالجوار لملازمته .

والمفارقة بادية هنا في المعنيين : القريب والبعيد وإرادة المعنى البعيد غير ما يتوقع ويقصد المتلقي ، وفي ذلك كد للذهن ، وإعمال للفكر حتى يتوصل لمقصود الشاعر من التورية .

المجـــاز



المجاز اللغوي :

لفظٌ استُخدمَ لغير معناه الحقيقيّ لعلاقة معيّنة .

وكثيرًا ما يستخدم الإنسان لفظًا ولا يقصد معناه الحقيقي، بل يقصد معنى آخرَ مختلفًا.

فإذا قال أحد مثلاً :

رأيت أسدًا يكر على الأعداء بسيفه، فهذه الجملة تدل على أن الأسدَ المذكورَ في الجملة هو ليس الأسد الحقيقي الذي نعرفه، والدليل على ذلك (بسيفه)؛ فالأسد الحقيقيُّ لا يحمل سيفًا، وإنما المقصود بالأسد رجلٌ شجاع يُشبَّهُ بالأسد. وهنا تكمن المفارقة المعنوية ، إذ أعطيت قوة الأسد وخلعتها على رجل شجاع فشبهته بالأسد على سبيل المجاز.

و في المجاز اللغوي تذكر كلمة أو قرينة تكون مانعة من إيراد المعنى الحقيقي بين المُشبه والمشبه به ،

و ينقسم المجاز إلى قسمين اثنين (علاقتين) هما :

١- ما فيه علاقة المشابهة (الاستعارة) .

وينقسم إلى :

الاستعارة المكنية :

ويكون المُشبَّه فيها موجودًا، والمشبه به محذوفًا .

مثال: قال تعالى:-

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾

[سورة الحديد: الآية ١٧]

المشبه هنا موجود (الأرض)، والمشبه به محذوف تقديره الإنسان أو الكائن والقرينة هي : (موتها).

الاستعارة التصريحية

وهي ما حذف فيها المشبه، ووجد المشبه به .

مثال ، نقول :

رأيت بحرًا يلقي محاضرة فالمشبه هنا محذوف قُدِّر (الإنسان) والمشبه به (المُصَرَّح به) موجود (البحر) ، والقرينة هي (يلقي).

الاستعارة التمثيلية

وهي التي تُشَـبَّهُ فيها صورة بصورة أخرى، فنقول مثلاً رياضٌ يحيط به ياسمينٌ وملكٌ تحُفُّ جوانبه جنودٌ .فهنا أخذت كلمة الياسمين الصورة التي أخذتها كلمة الجنود ...

وفي أمثلة الاستعارة ترى المفارقة اللغوية في التعبير بالمجاز الذي هو غير موجود في الحقيقة .

٢- ما فيه علاقة غير المُشابه

وهو المجاز المرسل :

ومن علاقات المجاز المرسل : -

✓ **الكُليّة :**

ما ذُكر فيه الكل و قُصِدَ الجُزءُ **مثل قولنا :**

شربتُ ماءَ النّيلِ، فهنا ذُكِرَ الكُلُّ (ماء النيل) و قُصِدَ الجزءُ (بعض الماء) .

✓ **الجزئية :**

ما ذُكرَ فيه الجُزءُ وقُصِدَ الكُلُّ، **كقولنا :**

قَلَّمتُ ظفرَ العدُوِّ، فهنا ذُكِـرَ الجُزءُ (الظفر) و قُصِدَ الكُلُّ (العدوُّ نفسهُ أو جسمه).

✓ **السببية :**

ما ذُكر فيه السبب وحُف المُسبب، **مثل قولنا :**

السيفُ أنطقَ الحقَّ ، أي كان سببا في إظهاره .

✓ **المسببية :**

ما ذُكر فيه المُسبب وحُذف منه السبب، **مثل قولنا :**

رعت الماشيةُ الغيثَ، ذُكر المسبب وهو (الغيث) وحُذف السبب وهو مُقَدَّرٌ بـ: (العُشب).

✓ **اعتبار ما كان :**

ما قُصِدَ به الأصل، **كقولنا :**

أيها الطِّينُ لا تتكبر، فهنا ذُكِرَ أصلُ الإنسانِ أي أنه خلق من الطِّينُ.

✓ **اعتبار ما سيكون :**

أي ما لم يكن أصلهُ ما ذُكر في الكلام، **كقولنا :**

كم أنجبت المسلمات فرسانا!، حيثُ إنَّهُ ذُكر ما سيكون أي (المولود لا يولد فارسا) بل سيكون عندما يكبر فارسا .

✓ **المحليَّة :**

ما ذُكر فيه المَحلُّ وقُصِدَ به من فيه ، **كقولنا :**

ركبتُ البَحرَ، فهنا ذُكر المحلُّ (البحرُ) وقُصِدَ ما يُحلُّ به (السفينة).

✓ **الحالية :**

ما ذُكرَ فيه الحالُ وقُصِدَ به المحلُّ، **كقوله تعالى :**

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الانفطار: الآية ١٣]
فهنا ذُكرَ الحالُ (النعيم)، وأُريدَ المحلُّ (الجنة).

✓ **الآليَّة :**

ما ذُكرت فيه آلةٌ وقُصِدَ جهاز أو أداة، **كقولنا :**

لا تكُن عينًا على جارِكَ، فهنا ذُكِرَت **الآلةُ** (العين) وأُريدَ شئ آخرُ كجهاز تجسس ...

والمفارقة بادية في الأمثلة السابقة في **العلاقة** المذكورة فيها ، في حين أن المراد غيرها ، فأنت تقول – كما في **المثال الأول** – مثلاً :

شربت ماء النيل ، ذكر الكل ، في حين أنه يريد الجزء (أي بعض الماء) وهنا تكمن المفارقة ، وهكذا في بقية الأمثلة .

رد الصدور على الأعجاز :

من الفنون البديعية التي فطن لها القدماء،وتحدثوا فيها . **فقد سمّاه ابن المعتز:** " رد أعجاز الكلام على ما تقدمها" وأشار إلى أنه يَرِدُ في النثر كما يرد في الشعر.

وقد عرَّفه المتأخرون من البلاغيين بأنه: " أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين، في أول الفقرة والآخر في آخرها.

أما في الشعر فهو أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في أول الصدر أو وسطه أو آخره أو في أول العجز. واللفظان المكرران هما المتفقان في اللفظ والمعنى، **مثل قوله تعالى:**

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨]

فاللفظ والمعنى واحد والمتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى **مثل:**

(سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل).

سائل الأولى من السؤال والثانية من السيلان .

وفي الشعر :

أولع الشعراء باستعماله، وافتنوا في توظيف أشكاله مستثمرين تلك الطاقات الموسيقية التي تولدها عملية إعادة اللفظ أو ما يشبهه داخل البيت الواحد.

فمن ذلك قوله الشاعر :

سجنتم فؤادي بالشجى يوم بينكم فها هو منكم في سجون شـــجون

ظعــنا وأنتم قاطنون فــديتــكم بكل الورى من قاطنٍ وظعـــين

فقد أورد الشاعر أكثر من لفظين مكررين يجمع بينهما الاشتقاق .

في البيت الأول (سجنتم، سجون) و(الشجن،شجون).

وفي البيت الثاني (ظعنا) و(ظعين)، (قاطنون) و(قاطن).

ومثله قول القائل :

قبــاب معـــالم أنــتم ســـلامُ علـــى تلــك المعـــالم والقبـــاب

فقد جمع في هذا البيت فن رد الأعجاز على الصدور في **قوله :**

(قباب ومعالم) في الشطر الأول ، (المعالم والقباب) في الشطر الثاني ، كما عكس ما بين الكلمتين في الشطرين ، فجاء الفنان منسجمان يصوران جمال الأداء والصياغة الفنية في لغة الشاعر.

ومنه أيضا قول القائل :

مضى عصر النعيم وكان طلقًا فوا أسفي على عصــر النعــيمِ

وقول القائل :

قصيرٌ مدى الدنيا، كثير عناؤها وحبلُ أماني الغافــلين قــصيرُ

وقول القائل :

شتَّان بــين شموخِ أمــتنا الذي ولَّى ، وبين خــضوعها شــتّانا

وينبغي أن ننوه إلى أن هذا الفن البديعي يتداخل مع التجنيس في طبيعته التكرارية الملحوظة " على مستوى البناء الشكلي ، كما هي ملحوظة على مستوى البنية العميقة ، إذ تتوارد لفظتان بمعنى واحد أو بمعنيين مختلفين ، ولكن طبيعة

البعد المكاني للفظتين هو الذي نقل البنية من نسق التكرار أو الجناس إلى نسق رد الأعجاز على الصدور، فكأن التكرار هنا لا بد أن يتوفر فيه ذهنيًا مسافة في الدلالة تسمح للفظة التالية أن تستقر بعدها محققة نوعًا من اكتمال المعنى أو بيانه أو تحقيقه" .

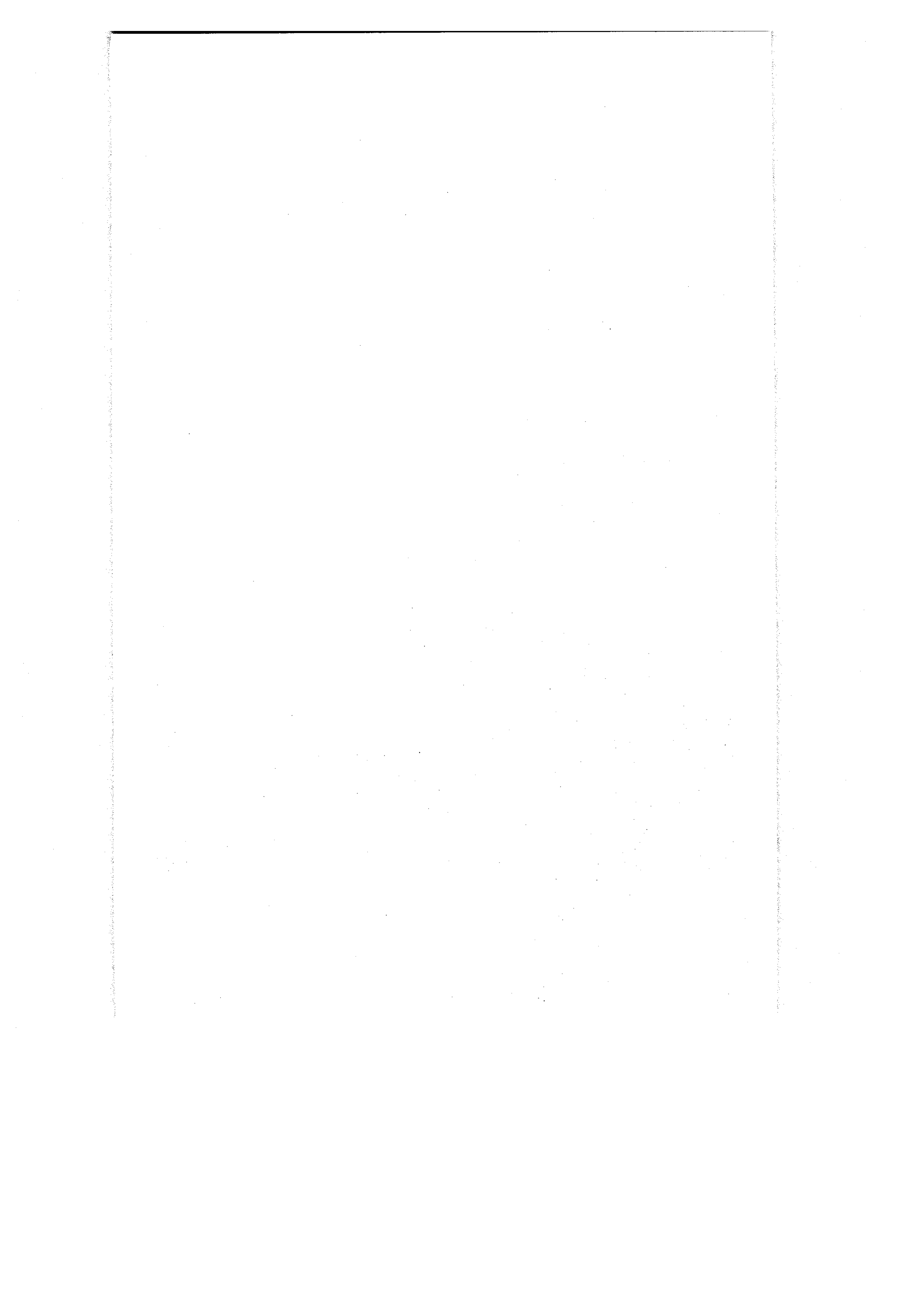
وبلاغة رد " الإعجاز على الصدور ترجع " إلى أمرين : -

- ❖ تأكيد المعاني وتقريرها ، من خلال التكرار، ومعلوم أن اللفظ عندما يكرر أو يذكر مجانسًا للآخر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر .
- ❖ دلالة أول الكلام على آخره ، وارتباط آخره بأوله ، وتلك هي البلاغة " أن يكون أول كلامك دالاً على آخره ، وآخره مرتبطًا بأوله . وقد كان صنّاع الكلام يفخرون بدلالة أول كلامهم على آخره ، وارتباط آخره بأوله ".

وفي النماذج السابقة تكرار لفظي بين لفظين ، ونلحظ اختلافًا في موضع اللفظين المكررين ، مما يحدث مفارقة لغوية **تؤدي إلى التفاوت في أثر التكرار** : معنويًا وجماليًا وإيقاعيًا ، إضافة إلى أن اللفظين المكررين يمنحان النص مزيدًا من الإيقاع الموسيقي ، وتقوية للمعنى .



الكناية



في اللّغة:

- التكلّم بما يريد به خلاف الظاهر.

وفي الاصطلاح:

لفظ أريد به غير معناه الموضوع له، مع إمكان إرادة المعنى الحقيقي، لعدم نصب قرينة على خلافه.

وهذا هو الفرق بين المجاز والكناية، ففي الأول لا يمكن إرادة الحقيقي لنصب القرينة المضادّة له، بخلاف الثاني.

نعم قد يمتنع المعنى الحقيقي لخصوص المورد، كقوله تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: الآية ٥]

فإنه كناية عن القدرة والاستيلاء، ويمتنع المعنى الحقيقي، لامتناع كونه تعالى جسمًا.

ومثال الكناية: (فلان كثير الرماد) تريد أنه كريم، للتلازم في الغالب بين الكرم وبين كثرة الضيوف الملازمة لكثيرة الرماد من الطبخ.

أنواع الكناية

١ ـ الكناية عن الصفة، مثل:

(طويل النجاد) كناية عن طول القامة.

٢ ـ الكناية عن الموصوف، مثل قوله:

فلما شربناها ودبّ دبيبها ... إلى موطن الأسرار قلت لها قفي.

أراد بموطن الأسرار: القلب.

٣ ـ الكناية عن النسبة، كقوله:

إن السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإن تخصيص هذه الثلاثة بمكان ابن الحشرج يتلازم نسبتها إليه.

الكناية القريبة والبعيدة

للكناية عن الصفة نوعان:

١ ـ قريبة، وهي التي لا يحتاج الانتقال فيها إلى إعمال روية وفكر، لعدم **الواسطة** بينها وبين المطلوب.

٢ ـ بعيدة، وهي التي يحتاج الانتقال فيها إلى إعمال روية وفكر، لوجود **الواسطة** بينها وبين المطلوب.

فمثال الأول: (طويل النجاد) فإن النجاد حمائل السيف، وطوله يستلزم طول القامة بلا واسطة.

ومثال الثاني: (كثير الرماد) فكثرة الرماد تستلزم الكرم لكن بواسطة، **لأنّ** كثرة الرماد ملازمة لكثرة الإحراق، وهي ملازمة لكثرة النار والطبخ، وهي ملازمة لكثرة الضيوف، وهي ملازمة للكرم، المقصود.

الكناية باعتبار اللوازم

تنقسم الكناية باعتبار اللوازم والسياق إلى أربعة أقسام:

١ ـ التعريض، وهو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضًا بالمخاطب، كقولك للمهذار: (إذا تمّ العقل نقص الكلام).

٢ . التلويح، وهو أن تكثر الوسائط بدون تعريض، نحو: (كثير الرماد) و(وجبان الكلب) و(مهزول الفصيل).

٣ . الرمز، وهو أن تقل الوسائط مع خفاء في اللزوم بدون تعريض، كقولهم: (فلان متناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه، إذ الذكاء الكثير في الجسم المتناسب وقولهم: (هو مكتنز اللّحم) كناية عن قوّته وشجاعته.

٤ . الإيماء وهو أن تقل الوسائط، مع وضوح اللزوم بلا تعريض، كقوله:

اليمـــــن يتبــــع ظلـــــه والمجـــد يمشـــي فـــي ركابـــه

فائدة الكناية

معلوم أن الكناية أبلغ من التصريح، وذلك لأنها تفيد أُمورًا، منها:

١ . القوّة في المعنى، وذلك لأنّها كالدعوى مع البينة، إذ لو قيل (فلان كريم) سئل عن دليل ذلك؟ فاللازم أن يقال: بدليل كثرة رماده، فإذا ذكر أولًا أراح، وأتى بالدعوى مع البيّنة.

٢ . التعبير عن أمور قد يتحاشى الإنسان عن ذكرها احترامًا للمخاطب.

٣ . الإبهام على السامع.

٤ . تنزيه الأُذن عمّا تنبو عن سماعه.

٥ . النيل من الخصم دون أن يدع له مأخذًا يؤاخذه به وينتقم منه.

وهناك أغراض كثيرة أُخرى تترتّب على الكناية لا تخفى على البليغ.

أما المفارقة اللغوية فتبدو في ترك التصريح بالمعنى المباشر إلى التكنية عنه فبدلاً من قولك: محمد كريم، تقول: محمد كثير الرماد.

التهكم والسخرية

التهكم :

من تهكم عليه

- التبكم: وهو السيل الذي لا يطاق .
- التهكم: صوت التغني والترنّم .
- التهكم : وصوت المطر الشديد الذي لا يطاق .
- التهكم : وصوت المستهزئ .
- والتهكم :تهور البئر.
- وتهكمت البئر: تهدمت.
- والتهكم: الطعن المدارك، فالمادة فيها الهجوم بقوم وبصوت مسموع.
- والمتهكم: المتكبر،
- والهَكم: المتقحم على ما لا يعنيه الذي يتعرض للناس بشره،
- وتهكم بنا: عبث بنا وزرى علينا.
- إذن: فالتهكم: استهزاء في قوة، وعدم خفاء، وفي تقحم.

*أسلوب التّهكّم :

لون من ألوان البديع يُعبَّر فيه بعبارة يُقصد منها ضدّ معناها للاستهزاء والسخرية والتهكُّم ، كأن يُؤتى فيه بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد ، والمدح في معرض الاستهزاء **كقول الله تعالى سخرية من الكافرين المعاندين:**

﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الدخان: الآية ٤٩]

النيل سلبًا من مقولة أو فكرة أو معتقد أو كائن، فيكسر تتواتر مسار الحديث من المسار الجد إلى مسار هزل ، وهو فن يرسم الضحكة على الوجوه ولكنه يورث حرجا .

وقد ورد أسلوب التهكم في القرآن الكريم كثيرًا ، ومنه قول الله تعالى

﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾

[سورة ص: الآية ١٠]

تهكم الله عز وجل على كفار قريش في هذه الآية متسائلاً :

هل لهم شيء من ملك السماوات والأرض؟ وهو إنكار وتوبيخ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ أي إن كان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء، وليدبروا شئون الكون؟ وهو تهكم بهم واستهزاء.

قال الزمخشري : " تهكم بهم غاية التهكم، **فقال**: إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق، والتصرف في قسمة الرحمة، وكان عندهم من الحكمة ما يميزون بها بين من هو حقيقٌ بالنبوة من غيره، فليصعدوا في المعارج التي يتوصلون بها إلى العرش،حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون وهو غاية التهكم بهم".

أمثلة التهكم والسخرية :

من السخرية القديمة قول الحطيئة ساخرًا من الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وعرض الأمر على حسان بن ثابت، قال: "لم يهجه بل سلح عليه".

وفي رواية: "بل ذرق عليه". وهذا يدل على فهم الجاهليين لقوة أثر السخرية ولو أنهم لم يعبروا عنها التعبير الذي تستحقه، بدليل أنه شبهها بالسلح".

ويقول ابن الرومي متهكمًا وساخرًا من بخيل اسمه عيسى :

يُقتِّــــرُ عيســــى علـــى نفســــه
ولـــــيس ببــــاقٍ ولا خالــــــد

فلَـــــو يســــتطيع لتقتيــــــره
تـــنفّس مـــــن منخـــــر واحـــد

عــــذرناه أيـــــام إعدامــــــه
فمــــا عـــــذرُ ذي بَخَــــلٍ واجـــد

رضــــيتُ لتفريـــــق أموالـــــه
يَـــدَي وارثٍ لـــــيس بالحامــــد

وقد سخر بشار بن برد من بخل عبد الله بن قزعة ، **فقال:**

فقل لأبى يحيـى متـى تـدرك العلـى
وفـي كـل معـروف عليـك يميـنُ

إذا جئته في حاجـة سـدَّ بابـه
فلا تلقه إلا وأنـت كميـنُ

إذا سلَّم المسكينُ طـار فـؤاده
مخافـة سُـؤلٍ واعتـراه جنـونُ

ويدخل الهجاء في دائرة التهكم والسخرية ، ولكنه أشد منهما ، ومنه ما يتناول الأعراض وحياة الناس ، وهذا ما نهى عنه ديننا الحنيف لقول النبي ﷺ :

(ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء)

والمفارقة اللغوية في التهكم نابعة من كونه مبالغة زائدة عن الحد ، كما في قول ابن الرومي عن البخيل (تنفس من منخر واحد) ، أو مفارقة بالخروج من مألوف الكلام إلى نقيضه أو إلى غير المألوف منه **كما في قول بشار** :

(طار فؤاده مخافة سؤل واعتراه جنون) ، وكلها أمور أدعى على التفكير وكد الذهن .

التعريض

المعنى اللغوي:

يقال لغة: عرض لي فلان تعريضا: أي: قال فلم يبين بصراحة اللفظ.

أعراض الكلام ومعارضه ومعاريضه: كـلام غـير ظـاهر الدلالـة علـى المـراد وفي الحديث:

"إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب" أي: فيها سعة يتخلص بها المتحدث من الكذب إذا لم يرد التصريح. مصطلح التعريض يعني:

أن تقول كلاما لا تصرح فيه بمرادك منه، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية ويمكنك أن تتهرب من التزام ما أشرت به إليه إذا صرت محرجا.

وفي التعريض مزيد إخفاء يجعله أكثر قولا حينما يكون التصريح مثيرًا لغضب، أو نقد، أو اتهام، أو عذل و تلويم، أو يكشف أمرا يجب ستره عن الرقباء فيقوم التعريض مقام الإلغاز والرمز الخفي وقد يكون التعريض بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال.

أمثلة التعريض:

وفي القرآن الكريم :- ما جاء في القرآن من نحو قول الله عز وجل:

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ٩٨]

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣٢]

في هـذه النصـوص تعـريض بالكـافرين الـذين لا ينتفعـون مـن آيـات الله في كونـه، وآياتـه في بياناتـه، بـأنهم لا ألبـاب لهـم، وبـأنهم لا يتفكـرون، وبـأنهم لا يفقهـون، دون أن تكـون هـذه المعـاني منصوصـا عليهـا، لكنهـا تفهـم إلماحـا.

قال الله عز وجل في سورة (التوبة) :

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٨١]

فقوله : (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ) لم يقصد منها إعلام المنافقين المخلفين عن رسول الله في غزوة تبوك، بأن نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا من حرارة الفصل الصيفي الذي خرج فيه الرسول والمؤمنون إلى غزوة تبوك، فهذا أمر واضح، لكن المقصود التعريض بأن هؤلاء المنافقين هم من أهل جهنم التي تكويهم بحرها يوم الدين.

وفي دعاء موسى عليه السلام (في سورة القصص)عند ماء مدين إذ خرج من مصر خائفا يترقب:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴾ [سورة القصص: الآية ٢٥]

نلاحظ في دعاء موسى عليه السلام بقوله: فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ احتمال التعريض بحاجته إلى المأوى والرزق والزوجة، ورأى أن الله قد ساق له مقدمات ما هو بحاجة إليه، فقال: رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ بصيغة الفعل الماضي ولم يقل: لما ستنزل، إذ شعر أن بشائر ما هو مفتقر له قد ظهرت بفرحة المرأتين به لما سقى لهما، وعلم أن أباهما شيخ كبير يحتاج إلى معين رجل.

لذلك جاء في النص بعد حكاية دعائه قول الله تعالى:

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ فدلت الفاء العاطفة على الترتيب مع التعقيب، وفي هذا إشعار بأن الله استجاب له دعاء الذي دعا به تعريضا لا تصريحا.

تزوج الحجاج من امرأة اسمها هند ، رغما عنها وعن أبيها ، وذات مرة وبعد مرور سنة جلست هند أمام المرآة تندب حظها وهي تقول:

وما هند إلا مهـــرة عربيـــة
سليلة أفراس تزوجهـــا بغـــل
فإن أنجبت مهـرا فللـه درهـــا
وإن جاءها بغـل أتـى بـه البغـــل

فسمعها الحجاج فغضب ، فذهب إلى خادمه وقال له اذهب اليها وبلغها أني طلقتها في كلمتين فقط لو زدت ثالثة قطعت لسانك ،وأعطها هذه العشرين ألف دينار.

فذهب إليها الخادم فقال لها : سيدي الحجاج يقول لك :-

كنت .. فبنت!! كنت (يعني كنت زوجته) فبنت (يعني أصبحت طليقته).

ولكنها كانت أفصح من الخادم فقالت:

كنا فما فرحنا ... فبنا فما حزنا!!

وقالت : خذ هذه العشرين ألف دينار لك بالبشرى التي جئت بها!!

وقيل إنها بعد طلاقها من الحجاج لم يجرؤ أحد علي خطبتها وهي لم تقبل بمن هو أقل من الحجاج، فأغرت بعض الشعراء بالمال فامتدحوها وامتدحوا

جمالها عند عبد الملك بن مروان. فأعجب بها وطلب الزواج منها وأرسل إلى عامله علي الحجاز ليصفها له، فأرسل له يقول إنها لا عيب فيها ، غير أنها عظيمة الثديين .

فقال عبد الملك وما عيب عظيمة الثديين؟! تدفيء الضجيع، وتشبع الرضيع فلما خطبها وافقت وبعثت إليه برسالة تقول: أوافق بشرط أن لا يسوق الجمل من مكاني هذا إليك في بغداد إلاّ الحجاج نفسه !!

فوافق الخليفة ، و أمر الحجاج بذلك فبينما الحجاج يسوق الراحلة إذا بها توقع من يدها دينارًا متعمدة ذلك، فقالت للحجاج يا غلام لقد وقع مني درهم فأعطنيه.

فأخذه الحجاج فقال لها إنه دينار وليس درهما . فنظرت إليه وقالت:

الحمد لله الذي أبدلني بدل الدرهم دينارًا

أي أنها تزوجت خيرًا منه.

ففهمها الحجاج و أسرها في نفسه.

وعندما كان الناس يتجهزون للوليمة تأخر الحجاج في الإسطبل فأرسل إليه الخليفة ليطلب حضوره وعند وصولهم ،طلب الخليفة من الحجاج أن يأكل فرد عليه:

ربتني أمي على ألا آكل فضلات الرجال.

ففهم الخليفة و أمر أن تدخل زوجته بأحد القصور ولم يقربها إلاّ أنه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر.

فعلمت هند بسبب عدم دخوله عليها، فاحتالت لذلك وأرسلت إليه أنها بحاجة له في أمر وأمرت الجواري أن يخبرنها بقدومه.

وعندما جاء الخليفة تعمدت قطع عقد اللؤلؤ عند دخوله ورفعت ثوبها لتجمع فيه اللآليء فلما رآها عبد الملك... أثارته روعتها وحسن جمالها وتندم لعدم دخوله بها لكلمة قالها الحجاج فقالت: وهي تنظم حبات اللؤلؤ.. سبحان الله!!

فقال: عبد الملك مستفهما لم تسبحين الله ؟**فقالت**: إن هذا اللؤلؤ خلقه الله لزينة الملوك

قال: نعم .

قالت: ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلاّ الغجر .

فقال متهللاً: نعم والله صدقت ، قبح الله من لامني فيك ودخل بها من يومه هذا (العقد الفريد).

تأمل التعريض في قولها : الحمد لله الذي أبدلني بدل الدرهم دينارًا، تعريضا بالحجاج .

ثم انظر إلى تعريض الحجاج بها في قوله : ربتني أمي على ألاّ آكل فضلات الرجال. يعرض بهند التي تزوجها الخليفة من بعده .

وكذلك تعريض هند بالحجاج في قولها : ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلاّ الغجر.

شواهد المفارقة اللغوية

في الشعر العربي القديم

في العصر الجاهلي

كثيرة هي شواهد المفارقة اللغوية في شعرنا العربي القديم ، ومعلوم أنها كانت تأتي عفوا من قائلها دون قصد منه أو تعمد ، شأنها شأن طبيعة الشعر الجاهلي الذي كان يتسم بالفطرة والتلقائية ، ومن هذه النماذج :

جاء في معلقة عمرو بن كلثوم قوله :

أبا هـند فلا تعـجل عـليـنا	وأنظرنا نخـبرك اليقـينا
تَهَـدَّدُنَـا وَتُوْعِـدُنَا رُوَيْـدًا	مَتى كنّا لأُمِكَ مَقْـتَوِيْنَـا
فَإِنَّ قَنَاتَنَـا يَا عَمْـرُو أَعْيَـتْ	عَلى الأَعْدَاءِ قَـبْلَكَ أَنْ تَلِيْنَـا
بأنا نورد الرايات بيضـا	ونصدرهن حمـرا قد روينـا
وقد علم القائل مـن معـد	إذا قـبب بأبطحـها بنينـا
بأنا المطعمـون إذا قـدرنا	وأنا المهـلكون إذا ابتـلينـا
وأنا المـانعـون لما أردنـا	وأنا النازلون بحـيث شـينا
وأنا التاركون إذا سـخطنا	وأنا الآخـذون إذا رضـينـا
وأنا العاصـمون إذا أطعـنا	وأنا العازمون إذا عُـصـينا
ونشرب إن وردنا الماء صـفوا	ويشرب غيرنا كدرا وطـينا

ويقول :

إذا بلغ الفطـام لنـا صـبي	تخـر له الجبابر ساجـدينا

انظر إلى ما انتهجه الشاعر من مفارقة في هذه الأبيات ، تجدها مفارقة لفظية ملحوظة في المقابلة بين كل شطر وآخر ، فضلا عن المفارقة اللغوية في المعنى إذ ينفي من خلال أسلوب التقابل خنوع قومه ورضاهم بالذلة والاستكانة ، ليثبت

أنهم سادة شرفاء ذوو أنفة وكبرياء ، وانظر إلى المفارقة غير المتوقعة في البيت الأخير التي يثبت فيها قوة قومه وتوارثهم السيادة جيلاً بعد جيل ، حتى الصبي حين يبلغ الفطام تخر له الجبابر ساجدين ، ومع ما في هذا القول من مبالغة إلاَّ أن المفارقة اللغوية الكامنة في المبالغة مقبولة ومحققة ما أراد الشاعر.

في العصر العباسي

في شعر المتنبي

عيــدٌ بأيّــةِ حــالٍ عُــدتَ يــا عيــدُ
بمَــا مَضَـــى أمْ بــأمْرٍ فيــكَ تجْديــدُ
أمّـــا الأحيّـــةُ فالبَيْـــداءُ دونَهُــــمُ
فَلَيــتَ دونَـــكَ بِيــدًا دونَهَـــا بِيـــد
يــا سَــاقِيَيَّ أخَمْــرٌ فــي كُؤوســكُما
أمْ فـــي كُؤوسِـــكُمَا هَـــمٌّ وَتَســـهيدُ؟
أصَــخْرَةٌ أنَــا، مــا لــي لا تُحَرّكُنــي
هَـــذِي المُـــدامُ وَلا هَـــذي الأغَاريـــدُ
إذا أرَدْتُ كُمَيْـــتَ اللّـــوْنِ صَـــافِيَةً
وَجَـــدْتُهَا وَحَبيـــبُ الـــنّفسِ مَفقُـــودُ
مـــاذا لَقيـــتُ مـــنَ الـــدّنْيَا وَأعْجَبُـــهُ
أنـــي بمَـــا أنَـــا شـــاكٍ مِنْـــهُ مَحْسُـــودُ
لَوْلا العُلى لم تجُبْ بي ما أجُــوبُ بهَــا
وَجْنَـــاءُ حَـــرْفٌ وَلا جَـــرْداءُ قَيْـــدودُ
وكَـــانَ أطيَـــبَ مِـــنْ سَـيفي مُعانَقَـــةً
أشْـــباهُ رَوْنَقِـــهِ الغيـــدُ الأمَاليـــدُ
لم يَترُكِ الدّهْرُ مِـنْ قَلبــي وَلا كبــدي
شَـــيْئًا تُتَيّمُـــهُ عَـــينٌ وَلا جيـــدُ
أمْسَــيْتُ أرْوَحَ مُثْــرٍ خَازِنًــا ويَــدًا
أنَـــا الغَنـــيّ وَأمْـــوَالي المَوَاعيـــدُ

إنّـــي نزَلْـــتُ بكَـــذّابينَ، ضَـــيْفُهُمُ

عَــنِ القِــرَى وَعَــنِ الترْحــالِ محْـــدُودُ

جودُ الرّجــالِ مــن الأيــدي وَجُــودُهُمُ

مــنَ اللّســـانِ، فَــلا كــانوا وَلا الجُـــودُ

ما يَقبضُ المَوْتُ نَفسًــا مــن نفوسِــهِمُ

إلاّ وَفـــي يَـــدِهِ مِــــنْ نَتْنِهَـــا عُـــودُ

أكُلّمَـــا اغتَـــالَ عَبـــدُ السّـــوْءِ سَـــيّدَهُ

أوْ خانَـــهُ فَلَـــهُ فـــي مصـــرَ تَمْهِيـــدُ

صَــارَ الخَصِــيّ إمَــامَ الآبِقِــينَ بِهَــا

فـــالحُرّ مُسْـــتَعْبَدٌ وَالعَبْـــدُ مَعْبُـــودُ

نَامَتْ نَــوَاطِيرُ مِصــرٍ عَــنْ ثَعَالِبِهــا

فَقَــدْ بَشِــمْنَ وَمَــا تَفنـــى العَنَاقيـــدُ

العَبْــدُ لَــيْسَ لِحُــرٍّ صَــالِحٍ بــأخٍ

لَــوْ أنّــهُ فــي ثِيَــابِ الحُــرّ مَوْلُــودُ

لا تَشْـــتَرِ العَبْــدَ إلاّ وَالعَصَــا مَعَــهُ

إنّ العَبيـــــدَ لأنْجَـــــاسٌ مَنَاكِيـــــدُ

ما كُنــتُ أحْسَــبُني أحْيَــا إلــى زَمَــنٍ

يُسِــيءُ بــي فيــهِ عَبْــدٌ وَهْــوَ مَحْمُــودُ

ولا تَوَهّمْــتُ أنّ النّــاسَ قَــدْ فُقِــدوا

وَأنّ مِثْــلَ أبـــي البَيْضـــاءِ مَوْجـــودُ

وَأنّ ذا الأسْـــوَدَ المَثْقُـــوبَ مَشْـــفَرُهُ

تُطيعُـــهُ ذي العَضَـــاريطُ الرّعاديـــد

جَوْعــانُ يأكُــلُ مِــنْ زادي ويُمسِــكني

لكَــيْ يُقــالَ عَظِــيمُ القَــدرِ مَقْصُــودُ

وَيْلُمِّهَــا خُطّــةً وَيْلُــمِّ قَابِلِهَــا

لِمِثْلِهَــا خُلِــقَ المَهْرِيّــةُ القُــودُ

وَعِنْـدَها لَـذّ طَعْـمَ المَـوْتِ شَـارِبُهُ

إنّ المَنِيّـــةَ عِنْـــدَ الـــذّلّ قِنْديــدُ

مَنْ عَلّـمَ الأسْـوَدَ المَخصِـيّ مكرُمَـةً

أقَوْمُــهُ البِــيضُ أمْ آبَــاؤهُ الصِّــيدُ

أمْ أُذْنُــهُ فــي يَــدِ النّخّــاسِ دامِيَــةً

أمْ قَــدْرُهُ وَهْــوَ بالفِلْسَــينِ مَــرْدودُ

أوْلَــى اللّئَــامِ كُــوَيْفِيرٌ بمَعْــذِرَةٍ

فــي كــلّ لُــؤمٍ، وَبَعــضُ العُــذرِ تَفنيــدُ

وَذاكَ أنّ الفُحُــولَ البِــيضَ عــاجِزَةٌ

عــنِ الجَميــلِ فكَيــفَ الخِصْــيةُ السّــودُ؟

في هذا النص تبدوا المفارقة اللغوية في عدة أمور :

في مقدمة النص إذ يبين الشاعر أن :

- ما في الكؤوس ليس خمرا إنما هو هم وتسهيد.
- الشاعر لا تطربه الأغاريد ولا الأغنيات لأنه قلق محزون كئيب النفس غير فارغ البال .
- وأن الشاعر كلما تمنى شيئا بعيد المنال صعب التحقق وجده في حين افتقاده حبيب القلب .

وتبدو المفارقة اللغوية في الظروف الصعبة التي وقع فيها إذ يسيء له كافور وهو عبد وما كان في ظنه واعتقاده أن يحيا إلى هذا الزمن العجيب .

ويقول :

ملومُكُمــــا يَجِــــلُّ عَــــنِ الْمَــــلامِ
وَوَقْـــعُ فعالِـــهِ فَـــوقَ الكَـــلامِ

ذَرانــــي وَالفَــــلاةَ بِــــلا دَليــــلٍ
وَوَجهــــي وَالهَجيــــرَ بِــــلا لِثــــامِ

فَــــإِنّي أَســــتَريحُ بِــــذا وَهَــــذا
وَأَتعَــــبُ بِالإِناخَــــةِ وَالمُقــــامِ

عُيــــونُ رَواحِلــــي إِن حُــــرتُ عَينــــي
وَكُــــلُّ بُغــــامِ رازِحَــــةٍ بُغــــامي

فَقَــــد أَرِدُ المِيــــاهَ بِغَيــــرِ هــــادٍ
سِــــوى عَــــدّي لَهــــا بَــــرقَ الغَمــــامِ

يُــــذِمُّ لِمُهجَتــــي رَبّــــي وَسَــــيفي
إِذا اِحتــــاجَ الوَحيــــدُ إِلــــى الــــذِمامِ

وَلا أُمســــي لِأَهــــلِ البُخــــلِ ضَــــيفًا
وَلَــــيسَ قِــــرىً سِــــوى مُــــخِّ النِعــــامِ

فَلَمّــــا صــــارَ وُدُّ النــــاسِ خِبًّــــا
جَزَيــــتُ عَلــــى اِبتِســــامٍ بِاِبتِســــامِ

وَصِــــرتُ أَشُــــكُّ فــــيمَن أَصــــطَفيهِ
لِعِلمــــي أَنَّــــهُ بَعــــضُ الأَنــــامِ

يُحِبُّ العاقِلونَ عَلى التَصافي
وَحُبُّ الجاهِلينَ عَلى الوَسامِ
وَآنَفُ مِن أَخي لِأَبي وَأُمّي
إِذا ما لَم أَجِدهُ مِنَ الكِرامِ
أَرى الأَجدادَ تَغلِبُها جَميعًا
عَلى الأَولادِ أَخلاقُ اللِئامِ
وَلَستُ بِقانِعٍ مِن كُلِّ فَضلٍ
بِأَن أُعزى إِلى جَدٍّ هُمامِ
عَجِبتُ لِمَن لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ
وَيَنبو نَبوَةَ القَضِمِ الكَهامِ
وَمَن يَجِدُ الطَريقَ إِلى المَعالي
فَلا يَذَرُ المَطِيَّ بِلا سَنامِ
وَلَم أَرَ في عُيوبِ الناسِ شَيئًا
كَنَقصِ القادِرينَ عَلى التَمامِ
أَقَمتُ بِأَرضِ مِصرَ فَلا وَرائي
تَخُبُّ بِيَ المَطِيُّ وَلا أَمامي
وَمَلَّنِيَ الفِراشُ وَكانَ جَنبي
يَمَلُّ لِقاءَهُ في كُلِّ عامِ
قَليلٌ عائِدي سَقِمٌ فُؤادي
كَثيرٌ حاسِدي صَعبٌ مَرامي
عَليلُ الجِسمِ مُمتَنِعُ القِيامِ
شَديدُ السُكرِ مِن غَيرِ المُدامِ

وَزائِرَتـــي كَـــأَنَّ بِهـــا حَيـــاءً
فَلَـــيسَ تَـــزورُ إِلا فـــي الظَـــلامِ
بَـــذَلتُ لَهـــا المَطـــارِفَ وَالحَشـــايا
فَعافَتهـــا وَباتَـــت فـــي عِظـــامي
يَضـــيقُ الجِلـــدُ عَـــن نَفسـي وَعَنهـــا
فَتوسِـــعُهُ بِـــأَنواعِ السِـــقامِ
إِذا مـــا فـــارَقَتني غَسَّـــلَتني
كَأَنّـــا عاكِفـــانِ عَلـــى حَـــرامِ
كَـــأَنَّ الصُـــبحَ يَطرُدُهـــا فَتَجـــري
مَـــدامِعُها بِأَربَعَـــةٍ سِـــجامِ
أُراقِـــبُ وَقتَهـــا مِـــن غَيـــرِ شَـــوقٍ
مُراقَبَـــةَ المَشـــوقِ المُســـتَهامِ
وَيَصـــدُقُ وَعـــدُها وَالصِـــدقُ شَـــرٌّ
إِذا أَلقـــاكَ فـــي الكُـــرَبِ العِظـــامِ
أَبِنـــتَ الـــدَهرِ عِنـــدي كُـــلُّ بِنـــتٍ
فَكَيـــفَ وَصَـــلتِ أَنـــتِ مِـــنَ الزِحـــامِ؟
جَرَحـــتِ مُجَرَّحًـــا لَـــم يَبـــقَ فيـــهِ
مَكـــانٌ لِلسُـــيوفِ وَلا السِـــهامِ
فَرُبَّتَمـــا شَـــفَيتُ غَليـــلَ صَـــدري
بِسَـــيرٍ أَو قَنـــاةٍ أَو حُســـامِ
وَفارَقـــتُ الحَبيـــبَ بِـــلا وَداعٍ
وَوَدَّعـــتُ الـــبِلادَ بِـــلا سَـــلامِ

يَقــولُ لـــي الطَبيـــبُ أكَلــتَ شَــيئًا

وَداؤُكَ فـــــي شَــــرابِكَ وَالطَعــــامِ

وَمـــا فـــي طِبِّـــهِ أنّـــي جَـــوادٌ

أضَـــرَّ بِجِســـمِهِ طـــولُ الجِمـــامِ

تَعَـــوَّدَ أن يُغَبِّـــرَ فـــي السَـــرايا

وَيَـــدخُلَ مِـــن قَتـــامٍ فـــي قَتـــامِ

فَأُمسِـــكَ لا يُطـــالُ لَـــهُ فَيَرعـــى

وَلا هُـــوَ فـــي العَليـــقِ وَلا اللِجـــامِ

فَإِن أمرَض فَمـا مَـرِضَ اِصـطِباري

وَإِن أُحمَـــمْ فَمـــا حُـــمَّ اِعتِزامـــي

وَإِن أَســـلَم فَمـــا أَبقـــى وَلَكِـــن

سَـــلِمتُ مِـــنَ الحِمـــامِ إِلـــى الحِمـــامِ

تَمَتَّـــع مِـــن سُـــهادٍ أَو رُقـــادٍ

وَلا تَأمُـــل كَـــرًى تَحـــتَ الرِجـــامِ

فَـــإِنَّ لِثالِـــثِ الحـــالَينِ مَعنـــىً

سِـــوى مَعنـــى اِنتِباهِـــكَ وَالمَنـــامِ

وفي ثنايا هذا النص تكمن المفارقة اللغوية في :

إظهـار الشـاعر أن راحتـه في حيـاة الصـحراء ومـا فيهـا مـن هجـير ومشـقة وهي أيضـا في السفر والارتحـال والانتقـال من مكـان لآخر، وأن الراحـة والاسترخاء **تضر بجسمه :**

ذَرانـــي وَالفَـــلاةَ بِـــلا دَليـــلٍ

وَوَجهـــي وَالهَجيـــرَ بِـــلا لِثـــامِ

فَـــإِنّي أَســــتَريحُ بِـــذا وَهَـــذا

وَأَتعَـــــبُ بِالإِناخَـــــةِ وَالمُقـــــامِ

ثم انظر إلى المفارقة اللغوية في حواره مع الحمى التي ألمت بجسمه وصارت تنتابه كل يوم عندما يحل الظلام ، وكيف أنه ينتظر مجيئها من غير شوق:

أُراقِـــبُ وَقتَهـــا مِـــن غَيـــرِ شَـــوقٍ

مُراقَبَـــــةَ المَشـــــوقِ المُســـــتَهامِ

وَيَصـــدُقُ وَعـــدُها وَالصِـــدقُ شَـــرٌّ

إِذا أَلقـــاكَ فـــي الكُـــرَبِ العِظـــامِ

وتأتي المفارقة في الجزء الأخير من النص والذي يبين فيه المتنبي أن الطبيب يظن سبب مرضه من طعام أكله ، وهو لا يعلم أن سبب مرضه ما هو فيه من دعة وراحة ، في قوله :

يَقــولُ لــي الطَبيــبُ أَكَلــتَ شَــيئًا

وَداؤُكَ فـــي شَـــرابِكَ وَالطَعـــامِ

وَمـــا فـــي طِبِّـــهِ أَنّـــي جَـــوادٌ

أَضَـــرَّ بِجِســـمِهِ طـــولُ الجِمـــامِ

تَعَـــوَّدَ أَن يُغَبِّـــرَ فـــي السَـــرايا

وَيَـــدخُلَ مِـــن قَتـــامٍ فـــي قَتـــامِ

فَأُمسِـــكَ لا يُطـــالُ لَـــهُ فَيَرعـــى

وَلا هُـــوَ فـــي العَليـــقِ وَلا اللِجـــامِ

فَإِن أَمرَض فَمـــا مَـــرِضَ اِصـــطِباري

وَإِن أُحمَـــم فَمـــا حُـــمَّ اِعتِزامـــي

وَإِن أَسـلَم فَمـا أَبقـى ولَكِـن
سَـلِمتُ مِـنَ الحِمـامِ إِلـى الحِمـامِ
تَمَتَّـع مِـن سُـهادِ أَو رُقـادِ
وَلا تَأمُـل كَـرًى تَحـتَ الرِجـامِ

في شعر أبي فراس الحمداني

يقول:

أراك عصـي الـدمع شـيمتكِ الصـبر
أمـا للهـوى نهـي عليـك ولا أمـرُ ؟
بلـى أنـا مشـتاق وعنـدي لوعـة
لكـن مثلـي لا يـذاع لـه سـرُ
إذا الليل أضواني بسـطت يـد الهـوى
وأذللـت دمعـا مـن خلائقـه الكبـرُ
تكـاد تضـيء النـار بـين جـوانحي
إذا هـي أذكتهـا الصـبابة والفكـرُ
معللتـي بالوصـل والمـوت دونـه
إذا مـت ظمآنـا فـلا نـزل القطـرُ
بـدوت وأهلـي حاضـرون لأنني
أرى دارا لسـت مـن أهلهـا قفـرُ
وحاربت قـومي فـي هـواكِ وإنهـم
وإيـاي لـولا حبـكِ المـاء والخمـرُ
فإن كان كما قـال الوشـاة ولـم يكـن
فقـد يهـدم الإيمـان مـا شـيد الكفـرُ

وفيـــت وفـــي بعـــض الوفـــاء مدـــــة

لآنســـــة فـــــي الحـــــي شـــــيمتها الغـــــدرُ

وقـــور وريعـــان الصـــبا يســـتفزها

فتـــأرن أحيانـــا كمـــا يـــأرن المهـــرُ

تســـائلني مـــن أنـــت وهـــي عليمـــة

وهـــل بفتـــى مثلـــي علـــى حالـــه نكـــرُ

فقلت كما شـاءت وشـاء لهـا الهـوى

قتيلـــك قالـــت أيهـــم فهـــم كثـــرُ

فقلـــت لهـــا لـــو شـــئت لـــم تتعنتـــي

ولـــم تســـألي عنـــي وعنـــدك بـــي خبـــرُ

فقالت لقـد أزرى بـك الـدهر بعـدنا

فقلـــت معـــاذ الله بـــل أنـــتِ والـــدهرُ

فأيقنـــت أن لا عـــز بعـــدي لعاشـــق

وأن يـــدي ممـــا علقـــت بـــه صـــفرُ

وقلبـــت أمـــري ولا أرى لـــي راحـــة

إذا البـــين أنســـاني ألـــح بـــي الهجـــرُ

فعدت إلـى حكـم الزمـان وحكمهـا

لهـــا الـــذنب لا تجـــزى بـــه ولـــي العـــذرُ

فـــلا تنكرينـــي يـــا ابنـــة العـــم إنـــه

ليعـــرف مـــن أنكرتـــه البـــدو والحضـــرُ

ولا تنكرينـــي إننـــي غيـــر منكـــر

إذا زلـــت الأقـــدام واســـتنزل النصـــرُ

وإنني لنزال بكل مخوفة

كثير إلى نزالها النظر الشزرُ

وإني لجرار لكل كتيبة

معودة أن لا يخل بها النصرُ

فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا

وأسغب حتى يشبع الذئب والنسرُ

ويا رب دار لم تخفني منيعة

طلعت عليها بالردى أنا والفجرُ

وحي رددت الخيل حتى ملكته

هزيما وردتني البراقع والخمرُ

وساحبة الأذيال نحوي لقيتها

فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعرُ

وهبت لها ما حازه الجيش كله

ورحت ولم يكشف لأبياتها سترُ

ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى

ولا بات يثنيني عن الكرم الفقرُ

وما حاجتي بالمال أبغي وفوره

إذا لم أفر عرضي فلا وفر الوفرُ

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى

ولا فرسي مهر ولا ربه غمرُ

ولكن إذا حم القضاء على الردى

فليس له برٌ يقيه ولا بحر

وقـــال أصـــيحابي الفـــرار أو الـــردى

فقلـــت همـــا أمـــران أحلاهمـــا مـــر

ولكننـــي أمضـــي لمـــا لا يعيبنـــي

وحســـبك مـــن أمـــرين خيرهمـــا الأســـر

يقولون لـــي بعـــت السـلامة بـــالردى

فقلـــت أمـــا والله مـــا نـــالني خســـر

وهـــل يتجـــافى عنـــي المـــوت ســـاعة

إذا مـــا تجـــافى عنـــي الأســـر والضـــر

هو الموت فـــاختر مـــاعلا لـــك ذكـــره

فلـــم يمـــت الإنســـان مـــا حيـــى الـــذكر

ســـيذكرني قـــومي إذا جـــد جـــدهم

" وفـــي الليلـــة الظلمـــاء يفتقـــد البـــدر"

ولو سد غيري ما ســـددت اكتفـــوا بـــه

وما كـــان يغلـــو التبـــر لـــو غلـــى الصـــفر

فإن عشـــت فـــالطعن الـــذي يعرفونـــه

وتلـــك القنـــا والبـــيض والضـــمر الشـــقر

وإن مـــت فالإنســـان لابـــد ميـــت

وإن طالـــت الأيـــام وانفســـح العمـــر

ونحـــن أنـــاس لا توســـط بيننـــا

لنـــا الصـــدر دون العـــالمين أو القبـــر

تهـــون علينـــا فـــي المعـــالي نفوســـنا

ومن يخطـــب الحســـناء لـــم يغلهـــا المهـــر

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا
وأكرم من فوق التراب ولا فخر

هنا يعتمد الشاعر على المفارقة اللغوية ليبرز من خلالها موقفين متناقضين : موقفه وتصرفه كفارس فيه سمات الفارس وطباعه ، بين موقف محبوبته المتعالية المنكرة وجوده ، ومع ذلك يحاورها في هدوء بروح المحب المخلص في حبه .

وتبدأ المفارقة بسؤال المحبوبة أبا فراس الشاعر الفارس تقول له : إنك عصي الدمع ، وإن الهوى والعشق ليس لهما تأثير عليك لا بالأمر ولا بالنهي ، ويأتي جواب شاعرنا في هدوء دون انفعال مبينا لها حقيقة لا تعلمها ، وهي أنه برح به الشوق وفي قلبه لوعة منه ، ولكن لأنه فارس فلا يظهر تأثره وضعفه فهو مشتاق وعنده حرقة في القلب ، لكن مثله لا يفشى له سر.

وتعود تسأله في غرور وتجاهل واصف : من أنت ؟ والشاعر يؤكد أنها تعلمه جيدا وتعرف مكانه ، لأنه الفارس الذي لا يشق له غبار ، حتى أنه يعرفه القاصي والداني ، وعلى ذلك يجيب عن تساؤلها في تواضع وحب شديد : أنا قتيلك . فيزداد بها الغرور وتعلق قائلة : أي قتيل أنت فقتلاي كثيرون ؟ويرد في هدوء : لا داعي لهذا التعنت والادعاء والتجاهل المقصود ، فأنت تعلمين حقيقة أمري .

ولأنه فارس يأبى الضيم والمذلة يبين أنه كان وفيا (مع أن الوفاء يكون مذلة في بعض الأحيان) لفتاة تتسم بالغدر.

وفي غمرة ما عقد من مفارقة لغوية بينه وبين محبوبته المغرورة المتجاهلة يتحدث عن أمرين :

- الأسر الذي وقع فيه ، وأنه لم يكن ضعيفًا ولا عاجزًا ، وغنما هو قدر مقدر له وأن الأسر لم ينقص من فروسيته وقدره شيئا ، فقد أوقعته الظروف بين خيارين كلاهما مر : الموت أو الأسر .

- الأمر الثاني فخره بنفسه وبقومه في الجزء الأخير من النص .

في شعر أبي العلاء المعري

أبو العلاء المعري رهين المحبسين ، عاش حياة شاقة حافلة بالمعاناة والتعب حتى أن آفة عدم الإبصار ألزمته داره ، وأبعدته عن المجتمع من حوله ، وقد عبر عن ذلك بقوله :

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن النبأ الخبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسم الخبيث

لذلك كانت السخرية سلاحه في مواجهة تحديات وصعوبات الحياة ، كما كان التأمل سلاحا آخر في مواجهة معترك الحياة .

كثيرون قبل أبي العلاء اتخذوا من السخرية سلاحا ودرعا واقيا ، فمن قبله سخر سقراط من قاتليه وهو يتجرع السم وسط رجاء تلاميذه أن يتراجع عن آرائه وبكائهم حزنا على فقده .

كما سخر أحد رجال لثورة الفرنسية من قاتليه قبيل إطلاق الرصاص عليه قائلا : "رصاصة واحدة تكفيني دع الباقي لبريء آخر" مما أضحك الحاضرين وأثار حقد قاتليه .

ويرى كثيرون أن السخرية سلاح يحمي الروح من ضعفها حينما تمر بها لحظات الضعف أو عندما تتعرض لرياح عاتية في معترك الحياة ، فحين تصبح الآلام هائلة تبتسم النفوس الكبيرة لتقضي على فلول الأسى ، ثم تحيل الابتسامة إلى سخرية وتهكم مما تلاقي من متاعب وصعوبات .

ومع سخرية المعري بالحياة ومحنتها الدائمة فقد تحلى بالحكمة ، وأعلن إيمانه بالعقل وثقته المطلقة فيه متخذا منه دليلاً وهاديًا وإمامًا:

كـــذب الظـــن لا إمـــام ســـوى
العقـــل مشـــيرًا فـــي صـــبحه والمســـاء

استمع إليه في تأملاته في الحياة والموت وهو يسوي على سبيل المفارقة اللغوية بين الموت والحياة ، وبين صوت البشير وصوت النعي ، وبين بكاء الحمامة وغنائها في قوله :

غير مجـد فـي ملتـي واعـــتقادي
نـــوح بـاك ولا تـرنم شـــاد
وشـــبيه صـــوت النعـــي إذا قـــيس
بصـــوت البشـــير فـــي كـــل نـــاد
أبكـت تلكـم الحمامـة أم غـــنت
علـــى فـــرع غصـــنها المـــياد
صـاح هـذي قبورنـا تمـلأ الرحـب
فـأين القبـور مـن عـهـد عـاد؟
خفـف الـوطء مـا أظـن أديـم ال
أرض إلا مـــن هـــذه الأجســـاد

سر إن اسطعت في الهواء رويدا

لا اختيالا على رفات العباد

رُب لحدٍ قد صار لحدًا مرارا

ضاحكٍ من تزاحم الأضداد

ودفينٍ على بقايا دفين

في طويل الأزمان والآباد

تعبٌ كلها الحياة فما أعجب

إلا من راغبٍ في ازدياد

إنّ حزنًا في ساعة الموت

أضعاف سرورٍ في ساعة الميلاد

الموت نقيض الحياة ، والغناء نقيض البكاء ، وصوت النعي غير صوت البشير أما حين يسوي المعري بينهما فتلك هي المفارقة اللغوية .

وفي رسالة الغفران :

وهي رسالة كتبها ليسقط عليها انطباعاته عن المجتمع ، وما يؤرق باله ممن حوله وما حوله من بشر وأشياء.

- فهو يسخر من المتبجحين ومن الواسطة التي ترفع غير المستحقين إلى أماكن لا يستحقونها.
- وسخر كذلك من أدعياء الشعر والضعفاء الذين قالوا ما لا قيمة له ومثل لهم بالرجّاز ولعلهم الذين اختاروا بحر الرجز لقصائدهم ويسخر من أحدهم بقوله:

هذا أبو القاسم أعجوبة   لكل من يدري ولا يدري

لا ينظم الشعر ولا يحفظ الـــ ـــقرآن وهو الشـــاعر المُقـــري

- ويسخر المعري من طريقة بعض الرواة في الرواية لنصوص الشعر طارحًا في الوقت ذاته الطريقة التي يراها مناسبة.
- ثم يسخر من الجهل والتقليد، فهو يرى أن الجهل قد ساد بين الناس لدرجة صاروا معها يقبلون ما ترفضه العقول، يقول ساخرًا:

لقد صدّق النـــاسُ مـــا الألبـــابُ تبطلـــه
حتـــى لظنـــوا عجـــوزًا تحلـــب القمـــرا

- يسخر شاعرنا من شعراء التكسب ويبين أنه إذا انتشر شعر التكسب بين الناس فإن الشعر الحقيقي يفنى ولا يجد له سوقا بين الناس، يقول:

تكســـب النـــاس بالأجســـاد فـــامتهنوا
أرواحهـــم بالرزايـــا فـــي الصـــناعات
وحـــاولوا الـــرزق بـــالأفواه فاجتهـــدوا
فـــي جـــذب نفـــع بـــنظمٍ أو ســـجاعات

وعن صناعة الأدب -الإبداع- يربأ بها المعري أن تنزل إلى السوق فتعرض للبيع للطغاة والأغنياء، وذلك في حوار تخيله بين إبليس وأديب حلبي "يقول إبليس:

من الرجل؟

فيقول: أنا فلان بن فلان من أهل حلب، كانت صناعتي الأدب أتقرب به إلى الملوك.

فيقول إبليس:

"بئس الصناعة إنها تهب رغيفًا من العيش لا يتسع بها العيال وإنها لمزلة بالقدم".

كما يسخر المعري من النحاة واللغويين الذين عقدوا مسالك النحو وأحالوه إلى طلاسم وألغاز بعد أن كان مع الأوائل من النحويين - أبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد- صافيا ، حيث لم يكن فيه تكلف أو تصنع ، ولكنه صار صعبًا على يد الأخفش و الكسائيُ والفراء وأمثالهم الذين عقد لهم في رسالة الغفران مجالس ساخرة .

وواضح أن السخرية في شعر المعري تستند إلى آلية المفارقة اللغوية التي تجعل العلاقة بين المعنى المباشر وغير المباشر علاقة قائمة على التقابل الدلالي بين ما هو مباشر وغير مباشر.

ابن زيدون:

يقول في الرسالة الجديدة :

يا مولايَ وسيِّدي ، الّذي ودادي له ، ومَنْ أبقاه الله تعالى ماضِيَ حدّ العزم واري زَند الأمل ، ثابتَ عهدِ النّعمه ، أظمأتني إلى برودِ إسعافكَ ، ونفضتَ بي كفَّ حياطَتك ، وغضضتَ عني طرفَ حمايتك ، بعدَ أن نظر الأعمى إلى تأميلي لكَ وسَمِعَ الأصمُّ ثنائي عليك ، وأحسّ الجماد بإستنادي إليكَ ، فلا غرو : قد يغصُّ بالماءِ شاربهُ ، ويقتلُ الدواء المستشفيَ به ، وُيؤتى الحذرُ من مأمنه ، وتكونَ منيّةُ المُتمني في أمنيتهِ والحين قد يسبقُ جَهدَ الحريصِ :

كل المصائبِ قد تمرُّ على الفتى

وتهونُ غيرِ شماتةِ الحُسّادِ

وإنّي لأتجلدُ وأُري الشامتينَ أني لريبِ الدَّهرِ لا أتضعضعُ، فأقول :

هل أنا إلا يد أدماها سُوارُها ، وجبينٌ عضَّ به إكليلهُ ، ومشرفيٌّ ألصقهُ بالأرضِ صاقِلهُ ، وسمهريٌّ عَرَضَه على النّار مثقفُه ، وعبدٌ ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقَسَا ليزدجروا ومن يك حازمًا

فليقسُ أحياناً على من يرحمُ

هذا العتبُ محمودٌ عواقبه ، وهذهِ النّبوةُ غمرةٌ ثم تنجلي ، وهذه النكبةُ سحابةُ صيفٍ عن قريبٍ تُقشّع ، ولن يريبني من سيّدي أن أبطأ سَحَابُه ، أو تأخر - غير ضنين - غَناؤه ، فأبطأُ الدلاءِ فيضاً أملؤها ، وأثقل السحائبِ مشياً أحفلُها ،

وأنفع الحيا ما صادف جدبا ، وألذُّ الشَّرابِ ما أصابَ غليلاً ، ومع اليوم غدٌ ، ولكل أجلٍ كتاب ، له الحمد على اغتِنَامِهِ ولا عتب عليه في إغفاله .

فإن يكـنِ الفعـلُ الـذي ســاءَ واحــدًا

فأفعالـــهُ اللاتـــي سَـــرَرنَ ألـــوفُ

في هذه الرسالة الجدية تبدو المفارقة اللغوية في حديث ابن زيدون مع سيده ، وإبراز تغافله عنه في قوله :

(وغضضتَ عني طرفَ حمايتك ، بعدَ أن نظر الأعمى إلى تأميلي لكَ وسَمِعَ الأصمُّ ثنائي عليك) فقد مدح سيده مدحا موفورا بارزا عمق مفهومه من خلال المطابقة بين : نظر ، ويتأمل ، وبين : سمع ، والأصم ، حتى جعل الأعمى يتأمله ، والأصم يسمعه ، ومع هذا الثناء الملموس فقد غض سيده الطرف عنه .

ولكن ابن زيدون يعد هذا التغاضي بداية خير لأن :

(أبطأُ الدلاءِ فيضاً أملؤُها ، وأثقل السحائبِ مشياً أحفلُها ، وأنفع الحيا ما صادف جدبا ، وألذُّ الشَّرابِ ما أصابَ غليلاً ، ومع اليوم غدٌ ، ولكل أجلٍ كتاب) .

والمفارقة بادية في مخالفة المنطق وما هو معهود ، فمعلوم أن البطء دليل الضعف والتخاذل ، لكنه خالف ذلك فجعل البطء مصاحبا للفيض والثراء (أبطأ الدلاء فيضا أملؤها) .

كما خالف المنطق في قوله :(أثقل السحائب مشيا أحفلها) ؛ إذ جعل ثقل السحائب مصحوبا بالامتلاء والخير والرغد .

ثم المفارقة التي مبعثها الطباق بين : الحيا والجدب ، وبين اليوم والغد وفي البيت الشعري بين ساء وسر.

المعتمد بن عباد

أبو القاسم المعتمد على الله بن عبّاد (وكذلك لُقِّب بالظافر والمؤيد)

هو ثالث وآخر ملوك بني عبّاد في الأندلس، وابن أبي عمرو المعتضد حاكم إشبيلية، كان ملكًا لإشبيلية وقرطبة في عصر ملوك الطوائف قبل أن يقضي على إمارته المرابطون. ولد في باجة (إقليم في البرتغال حاليًا)، وخلف والده في حكم إشبيلية عندما كان في الثلاثين من عمره، ثم وسّع ملكه فاستولى على بلنسية ومرسية وقرطبة، وأصبح من أقوى ملوك الطوائف فأخذ الأمراء الآخرون يجلبون إليه الهدايا ويدفعون له الضرائب.

اهتم المعتمد بن عباد كثيرًا بالشعر، وكان يقضي الكثير من وقته بمجالسة الشعراء، فظهر في عهده شعراء معروفون مثل أبي بكر بن عمّار وابن زيدون وابن اللبانة وغيرهم. وقد ازدهرت إشبيلية في عهده، فعُمِّرت وشيدت. وفي خلال فترة حكم المعتمد حاول ألفونسو السادس ملك قشتالة مهاجمة مملكته، فاستعان بحاكم المرابطين يوسف بن تاشفين، وخاض معه معركة الزلاقة التي هزمت بها الجيوش القشتالية. لكن في عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١م) شنّ يوسف بن تاشفين حربًا على المعتمد فحاصر أشبيلية، وتمكّن من الاستيلاء عليها وأسر المعتمد، ونفاه إلى مدينة أغمات في المغرب حيث توفّي أسيرًا بعد ذلك بأربع سنوات. رغم ذلك، فقد أثار إسقاط يوسف بن تاشفين لإمارة بني عباد الكثير من الجدل بين المؤرّخين قديمًا وحديثًا ووُجّهت انتقادات كثيرة له لما فعله بالمعتمد.

وقيل: إنّ بنات المعتمد دخلن عليه السّجنَ في يوم عيدٍ، وكُنّ يغْـزِلن للنّـاس بالأُجرة في أغْمات، فرآهنّ في أطمارٍ رثّةٍ، فَصَدَعْنَ قلبه، **فقال:**

فيما مضى كنـتَ بالأعيـاد مسـرورًا
فسـاءك العيـدُ فـي أغْمـاتَ مأسـورا

ترى بناتِك في الأطمار جائعـةً
يغـزلن للنـاس لا يملكـن قِطْميـرا

بَرَزْنَ نحوك للتّسليم خاشـعةً
أبصـارهُنّ حسـيراتٍ مكَاسـيرا

يَطَأْنَ في الطّين والأقـدامُ حافيةٌ
كأنّها لم تَطَأْ مِسْـكًا وكافـورا

من بات بعدَكَ في ملكٍ يُسَـرُّ به
فإنّمـا بـات بالأحـلام مغـرورا

في هذا النص يفارق الشاعر بين حالين مر بهما : حاله في اليسر، وحاله في العسر فقد كانت تسره الأعياد ، ولكن بعد أسره تبدل الحال .

كما تبدو المفارقة في إبراز الشاعر حال بناته بعد أسره وما يلاقينه من تعب ونصب وضيق حال ، حتى صرن يغزلن الثياب للناس ، ويقارن بين حالهن وهن يطأن أقدامهن في الطين يسرن عليه ، وهي الأقدام التي كانت تطأ الكافور والمسك أيام العز والسلطان في خلافة أبيهم .

وللمعتمد وقد أُحيط به :

لمّــــا تماســـــكتِ الــــدّموعُ	وتَنَهْنَــهَ القلــبُ الصَّــــــديعُ
قــــالوا: الخضـــوعُ سياســـةٌ	فَلْيَبْــدُ منــك لهــم خضــوع
وألــذ مــن طعــم الخضـــو	ع علــى فمــي السّــمُّ النّقِيــعُ
إن تَسْـــتَلِبْ عنِّــي الــدُّنَا	مُلْكــي وتُسْــلِمُني الْجُمُــوعُ
فالقلـــبُ بـــين ضُـــلُوعِهِ	لــم تُسْــلِمِ القلــبَ الضُّــلُوعُ
قــــد رُمْــتُ يــوم نِــزَالِهم	أنْ لا تحصِّـــنني الـــدُّرُوعُ
وبرزت لــيس ســوى القميـــ	ـص عن الحشَى شيءٌ دَفُــوعُ
أجَلِيَ تأخَّــــــر، لــم يكــن	بهــواي ذلّـــي والخشــوع
ما ســـــرتُ قــطّ إلــى القتــا	ل وكــان فــي أملــي رجــوع
شِيـــــيَمُ الأُولَى أنا مــنهم	والأصـــل تتْبعـــهُ الفـــروعُ

يقارن في مفارقة طيبة بين ما يقول الناس- وهم مخطئون - ، وبين ما يعتقد فيه وهو الصواب ، فالناس يقولون : (الخضوع سياسة) طالبين منه أن يخضع ويخنع وهو يرى أن السم أهون على نفسه من السم النقيع .

ثم يبين أن الناس قد أسلموه وتخلوا عنه وتركوه وحيدًا يواجه مصيره ، ومع ذلك فهو متماسك قلبه ما يزال نابضًا لم تسلمه الضلوع ، وفي مفارقة جميلة يبرزها الطباق بين الأصل والفروع حين يبين أن هذه شيمته التي ورثها عن أجداده وهم الأصول .

شواهد المفارقة اللغوية في الأدب العربي الحديث

ودعنا نتناول بعض نماذج من المفارقة في شعرنا العربي :

يقول الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصيدة "تنويمة الجياع" :

نامي جياع الشـعب نـامي حرسـتك آلهـة الطعـام
نامي فإن لم تشـبعي مـن يقـظة فمـن المنـام
نامي على زبـد الوعـود يـزين معسـول الكـلام
نامي تزرك عـرائس الأحـلام فـي جـنح الظـلام
و تـرى زرائبـك الفسـاح مبلطـات بالرخـام

نامي فقد أضـفى "العـراء" عليـك أثـواب الغـرام
نـامي فقـد أنهـى "مجيـع الشـعب" ايـام الصـيام
نـامي فقـد غنـى "إلـه الحـرب" ألحـان السـلام
نامي و سيري في منامك ما اسـتطعت إلـى الأمـام
نامي على تلك العـظات الغـر مـن ذاك الإمـام
يوصـيك ألا تطعمي مـن مـال ربـك فـي خطـام
يوصـيك أن تـدعي المبـاهج واللذائـذ للئـام
وتعوضـي عـن كـل ذلـك بالسـجود وبالقيـام
نامي فنومك خير مـا حمـل المـؤرخ مـن وسـام
نـامي فـإن صـلاح أمـر فاسـد فـي أن تنـامي
والعـروة الـوثقى! إذا اسـتيقظت تـؤذن بانفصـام
نـامي وإلا فالصـفوف تـؤول منـك إلـى انقسـام

نـــامي تريحـــي الحـــاكمين مـــن اشـــتباك والتحـــام
نـــامي فجـــدران الســـجون تعـــج بـــالموت الـــزؤام
نامي على جور كما حمـــل الرضـــيع علـــى الفطـــام
نـــامي إليـــك تحيتـــي وعليـــك نائمـــة ســـلامي
نامي جياع الشـــعب نـــامي حرســـتك إلهـــة الطعـــام

يعتمد الشاعر هنا في إبراز فكرته على المفارقة وما تحمل من دلالات .

وتبرز حدة المفارقة التي يضطهر بها الشاعر هموم الإنسان وحريته في إناء الوجود الإنساني،فنرى مفارقته الشعرية بادية في هذه السخرية النابعة من أمره جياع الشعب بالنوم والراحة إن هي لم تشبع وأن تخلد إلى النوم والراحة على الوعود الكاذبة البراقة الممزوجة بمعسول الكلام ، والتي لاتسمن جوع ولا تغني من خوف ، ، وأن هذا النوم سبيلها إلى القضاء على الفساد ، وطريقها الأوحد إلى تحقيق الغايات ، وإدراك ما تريد من طموحات ، وهذا مفارق للواقع مخالف له .

هي سخرية حادة لاذعة تحمل المفارقة في أجلى معانيها ، فظاهر السياق هنا يخاف باطنه ، ما يقوله الشاعر ويصرح به شيء ، وما يبطن وما يريد شيء آخر. وحسبك من شاعر يتمنى الحرية والخلاص لشعبه .

فقد آثر الشاعر أن يصوغ مطالبته في قالب ساخر يعتمد على المتناقضات ويخير قومه بين خيارين : بين النوم واليقظة ، بين الموافقة والرفض ، بين التحرر والخنوع ، تاركا له اختيار ما يحقق له بغيته .

وتلك دلالات واسعة المدى أفسحها أسلوب المفارقة وجلاها للناظرين .

وفي نوع آخر من المفارقة اللغوية يطلق عليه (مفارقة الموقف) .

يقول الشاعر : أحمد مطر :

في قصيدة (يحيا العدل) :

- حبسوه .
- قبل أن يتهموه .
- عذبوه .
- قبل أن يستجوبوه .
- أطفأوا سيجارة في مقلتيه .
- عرضوا بعض التصاوير عليه .
- قل : لمن هذي الوجوه ؟
- قال : لا أبصر .
- قصوا شفتيه .
- طلبوا منه اعترافا .
- حول من قد جندوه .
- لم يقل شيئا .
- ولما عجزوا أن ينطقوه .
- شنقوه .

****

- بعد شهر برأوه .
- أدركوا أن الفتى .
- ليس هو المطلوب أصلا .
- بل أخوه .

- ومضوا نحو الأخ الثاني .
- ولكن .. وجدوه .
- ميتا من شدة الحزن .
- فلم يعتقلوه .

في هذا النوع من المفارقة يتبدى لنا غرابة الموقف من الضحية ومن الجاني فالضحية لا تعرف سبب القبض عليها ، ومع ذلك لقي من التعذيب ما لقي فضُرب وسُملت عيناه بعد وضع السيجارة فيها ، ورغم ذلك طُلب منه الإخبار عن من في الصورة ، فلم يستطع لأنه لا يبصر ، عندئذ وسموه بالإنكار ثم شنقوه . وتزداد المفارقة حين يكتشف الجناة أن الذي شُنق ليس هو المقصود ، بل أخوه ، فهرولوا مسرعين للقبض عليه ، غير أنهم عادوا خائبين ، لأن الأخ كان قد مات غما وحزنا لفقد أخيه .

أرأيت كيف تفعل المفارقة فعلها ؟ إنها تبرز مدى التباين بين الموقفين : موقف الضحية وجهلها بجنايتها ، وما اتهمت به ، وموقف الجناة وما أمعنوا فيه من التعذيب بغير جريرة ، ثم جهلهم بمن يريدون القبض عليه ، ومن خلال هذا كله آلة التعذيب لا تتوقف : تعذب وتسمل وتشنق ، ولا يدري الجناة أنهم بفعلتهم هذه يتسببون في قتل أناس غما وحزنا على ذويهم .

ومن خلال هذا التعارض في الموقفين : موقف الجاني وموقف الضحية تبرز دلالة المفارقة وتحقق هدفها غرضها المنشود في تجلية فكر الشاعر ومقصوده من إبراز الصراع الإنساني وما ينتاب النفس البشرية من توحش واعتداء يؤدي

بها إلى ارتكاب جريمة القتل والتنكيل بالآخرين، وكذلك ما يصيب النفس البشرية من قهر وما يقع عليها من اعتداء وجور.

ويقول صفي الدين الحلي في قصيدة (قالت) :

قالت : كحلت الجفون بالوسن	قلت : ارتقابا لطيفك الحسن
قالت : تسليت عن فرقتنا	فقلت : عن مسكني وعن سكني
قالت : تشاغلت عن محبتنا	قلت: بفرط البكاء والحزن
قالت : تناسيت، قلت : عافيتي	قالت: تناءيت قلت: عن وطني
قالت : تخليت، قلت:عن جلدي	قالت : تغيرت قلت : في بدني
قالت : تخصصت دون صحبتنا	فقلت : بالغبن في والغبن
قالت : أذعت أسراري فقلت لها:	صير سري هواك كالعلن
قالت : سررت الأعداء قلت لها:	ذلك شيء لو شئت لم يكن
قالت : فماذا تروم ؟ قلت لها:	ساعة وصل بالوصل تسعدني
قالت: فعين الرقيب تنظرنا قلت :	فإني للعين لم أبن

في هذا النص الحواري بين الشاعر ومحبوبته تبدو المفارقة في أدق صورها فهي تبين له أنه قد غفل وزار النوم عينه ، فيبين لها أنه نام انتظارا لرؤية طيفها الجميل في نومه ، وتبين له أنه وجد سلواه وابتعد عنها فيبين لها أنه ابتعد عن سكنه وأهله ، وتقول إنه انشغل عن محبتها فيبين لها أنه انشغل بالبكاء والحزن وهكذا في طول القصيدة وعرضها يبرز الشاعر المفارقة بين ما تقوله المحبوبة – وهو متوقع من وجهة نظرها – وبين ما يقوله المحب وهو غير متوقع ، ومن هنا تأتي المفارقة التي تبرز دلالتها من خلال الحوار في وضوح .

وفي نموذج آخر يقول نزار قباني :

أيظن

أيظـــن أنـــي لعبـــة فـــي يديـــه
أنـــا لا أفكـــر فـــي الرجـــوع إليـــه
اليـــوم عـــاد كـــأن شـــيئًا لـــم يكـــن
وبـــراءة الأطفـــال فـــي عينيـــه
ليقـــول لـــي إنـــي رفيقـــه دربـــه
وبـــأنني الحـــب الوحيـــد لديـــه
حمـــل الزهـــور إلـــي كيـــف أرده
وصـــبايا مرسبـــومٌ علـــى شـــفتيه
ما عدت أنكـــر والحرائـــق فـــي دمـــي
كيـــف التجـــأت إلـــي زنديـــه
خبـــأت رأســـي عنـــده وكـــأنني
طفـــل أعـــادوه إلـــى أبويـــه
حتـــى فســـاتيني التـــي أهملتهـــا
فَرِحـــت بـــه.. رقصـــت علـــى قدميـــه
ســـامحته وســـألت عـــن أخبـــاره
وبكيـــت ســـاعات علـــى كتفيـــه
وبـــدون أن أدري تركـــت لـــه يـــدي
لتنـــام كالعصـــفور بـــين يديـــه
ونســـيت حقـــدي كلـــه فـــي لحظـــة
مـــن قـــال إنـــي قـــد حقـــدت عليـــه

كم قلت إني غير عائدة له
ورجعت ما أحلى الرجوع إليه

هنا تبدو المفارقة في الحوار الداخلي – في داخل المرأة – فهي تبدو في بداية القصيدة غاضبة مصممة على القطيعة مع من تحب ، وأنها لا تفكر حتى في مجرد العودة ، لا العودة نفسها ، ثم لما جاء محبوبها تبدل الحال عندما أخبرها أنه ما زال يحبها ، وابتهجت ، حتى ثيابها التي أهملتها فرحت به ورقصت على كتفيه وتناست كل غضبها وحقدها ، **حتى لنتساءل في دهشة** :

من قال إنها حقدت عليه ؟ وتفيق من هذا التساؤل – الذي يحدث المفارقة – لتعلن حبها الشديد **قائلة** : ما أحلى الرجوع إليه !

والمفارقة في هذا النموذج ملموسة تصور الصراع الإنساني داخل الأنثى وتصور العبارات والأساليب المفارقة في موقفها الرافض المصر على القطيعة والهجران قبل أن تلتقي بمن تحب ، وموقفها بعد أن التقيا وكيف تغير على النقيض ليصير حبا وتعلقا وهياما يجعله تبين أن أحلى شيء هو العودة والرجوع .

وبقى بعد هذه النماذج التي عرضناها أن نبين القيمة الدلالية للمفارقة تكمن في ما تحدثه من دلالات ، وما تثيره من تفكير وإعمال ذهن للوصول إلى موضع المفارقة ومقصودها .

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

١- الأجناس الأدبية من منظور مختلف، خلدون الشمعة، المجلة العربية للثقافة العدد ٣٢ / ١٩٩٧ . ١٢٩، ١٣٥.

٢- العقد الفريد لابن عبد ربه ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ١٩٩٩.

٣- المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة) ، د/محمد العبد ، مكتبة الآداب ٢٠٠٦ .

٤- المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي (دراسة في بنية الدلالة) ، د عاصم شحادة علي (بحث) .

٥- المفارقة، نبيلة ابراهيم ، مجلة فصول العددان ٣-٤ / ١٩٨٧ .

٦- المفارقة وصفاتها ، (موسوعة المصطلح النقدي، ١٣) دي سي ميويك، ترجمة د.عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ط٢، ١٩٨٧.

٧- النقد الأدبي ، دكتور محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ،١٩٦٨

٨- نظرية البنائية في النقد الأدبي، دكتور صلاح فضل ، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٣،١٩٨٥.

٩- نظرية التلقي، مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة د . عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط ١ ، ١٩٩٤ .

١٠- جان بول سارتر : ما الأدب ؟ ، ترجمة دكتور محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٦ .

دواوين الشعر :

- المعلقات السبع للزوزني .
- نزار قباني الأعمال الكاملة .
- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي.

معاجم :

- ✓ المعجم الوسيط .
- ✓ لسان العرب .